

المقطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٩ - الموافق ١٥ رجب سنة ١٣٢٧

تشارلس دارون

CHARLES DARWIN

احتفلت اميركا قبل انكلترا بمرور مئة سنة على ولادة دارون وخمسين سنة على نشره كتابه 'اصل الانواع' الذي غير مجرى العلم والفكر. وظهرت مجلة العلم العالم الاميركية في شهر ابريل الماضي وكلها مقالات عن دارون والمذهب الدارويني باقلام اكبر علماء العصر. اولاهما خطبة للاستاذ هنري فيرفيلد اسبرن من اساتذة جامعة نيويورك المعروفة بجامعة كولبيا القاها وقت الاحتفال في تلك الجامعة وقد رأينا ان نقطف منها ما يلي لانها تاريخية لخص فيها ترجمة دارون وخلاصة اعماله قال

ولد دارون سنة ١٨٠٨ وولد معه في تلك السنة كثيرون من الرجال الذين اشتهروا شهرة فائقة ومنهم لكن رئيس الولايات المتحدة الاميركية^(١) ودارون ولكن متماثلان في بساطة الاخلاق والهجمة وفي محبة الحق وكره الاستعباد ولاسيا في عدم شعورهما بقوتهما. وقد استغربا كلاهما ما رآياه من تأثير اقوالهما وافعالهما في غيرهما. كتب لكن مرة يقول «اني لست شيئاً واما الحق فكل شيء» وكتب دارون في خاتمة ترجمته يقول «اني استغرب حقيقة ما يرى من تأثيري في اعتقاد العلماء ببعض المسائل الهامة مع انه ليس في مداركي شيء فوق المعتاد. ونجاحي كرجل من رجال العلم نتج عن بعض الاسباب والصفات العقلية واهمها محبتي للعلم واخذي المواضيع العلمية بالتأني والتفكير بالصبر واهتمامي بمراقبة الحقائق وجمعها. وكوني معطياً نصيباً معتدلاً من قوة الاستنباط والاستدلال»

اما لكن فعمله العظيم الوحيد هو ضربته القاتلة للرق. فقد جاهد الانسان قروناً طويلة

(١) ومن المشاهير الذين ولدوا تلك السنة ايضا تيسن ومندل-هين وهلس وغلادستون

لينال حريته في عمله وحكومته ودينه وعقله . فتحرّر جسداً في الوقت الذي تحرّر فيه عقلاً
وهذا من الاتفاقات الغريبة . وليس من رأيي ان اثبات نشوء الانسان هو اعظم افعال دارون
لان الانسان عاش سعيداً قبل ذلك كما عاش بعده ولعله كان افضل ممّا صار اليه بعد اثبات
مذهب النشوء لانه كان يعتقد انه مخلوق على صورة الله ومثاله . ولكن اعظم افعال دارون
هو كونه انال الانسان حريته العقلية حتى صار يدرس نوااميس الطبيعة حرّاً غير مستعبد
فحقق ما قيل في انجيل يوحنا « تعرفون الحق والحق يحرّكم »

لما نشر كتاب دارون منذ خمسين سنة كنا بعيدين عن درس الطبيعة وتأملها بعين
العقل لان عقولنا كانت مقيدة بقيود التقاليد الدينية وكنا نحسب كتب الدين كتباً طبيعية
تبحث عن نوااميس الطبيعة مع ان رجلاً من كبار ائمة الدين حذّرنا من ذلك منذ القرن الخامس
حيث قال « دعوا مسائل الارض والجو والعناصر للعقل لئلا يرى رجال العلم سخافة ارائكم
فيها فيهزأوا بكم »

(ولو عرف الاستاذ اسبرن قول حجة الاسلام الامام الغزالي لاستشهد به على ما هو
بصدده فقد قال في كتابه تهافت الفلاسفة عن بعض الامور الفلكية « ان هذه الامور تقوم
عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق ادلتها . . . اذا قيل
له ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه وانما يسترب في الشرع »)

لما أطلع دارون العالم النبائي هوكر سنة ١٨٤٤ على خلاصة بحثه كان عارفاً ما سيلقيه
من التخطئة والتكفير فقد قال اني ساصغر في عيون علماء الطبيعة طالما تنشر آرائي هذا الذي
اتوقعه ولا اتوقع سواه .

قام كوبرنيكوس قبل ذلك بثلاثمئة سنة على تخوم بولندا ونشر كتابه « حركات اجرام
السماء » فرمى باول سهم في تلك الحرب التي تاججت ثلثمئة سنة لاجل البحث في الطبيعة من
غير قيد . وسنة ١٦١١ اثبت تلسكوب غيليو صدق ما استنتجه كوبرنيكوس وهو ان
الارض تدور حول الشمس . والآن يرى تمثال غيليو في فلورنسا وقد رفع اصبعه امام اعضاء
ديوان التفتيش مثبتاً دوران الارض حول الشمس

ومرّت السنون واضطّرّ اهل التعصّب الديني ان يتركوا الالتجاء الى السجين والتعذيب في
اضطهاد المخالفين لم يكنهم استخدموا لاضطهادهم وسيلتين اخريين لا ثقلاً عن السجين
ايذاءً وهما الاقصاء والحرمان من المناصب . رأى لينوس وبفون ولامارك وسنت هيلر ادلة
النشوء وجأهروا بها ولكنهم اضطروا ان يستردوا ما قالوه او يجرّموا مناصبهم . وبلغ الاعتقاد

بما هو فوق الطبيعة اوجه سنة ١٨٥٧ وكان كبار علماء الطبيعة مثل كيثيه واون وليل واغاسز من القائلين بالخلق المستقل اي ان الخالق خلق كل نوع من انواع الحيوان والنبات على حدة فلا اتصال بينها ولا هي متولدة بعضها من بعض لكن علمهم كان مقوضاً من اساسه لانه ليس مبنياً على البحث الحر غير المقيّد

والامر الذي عجز عنه العالمان الطبيعيان الكبيران بفون ولامارك ناله دارون بقرينه الفاتكة في الملاحظة والاستنتاج وكذلك بما جمعه من الحقائق الكثيرة الباهرة وبما ابداه من الادلة البسيطة المقنعة . لم يكن بليغ العبارة مثل جدم اراسموس دارون ولا غامضها مثل هربرت سبنسر ولذلك اتفحت اقواله وادلته لكل احد . وقد انحاز اليه رجال من كبار العلماء مثل هيكل وهكسلي ولكن فوزه لم ينتج عن حدة اقوال هيكل ولا من شدة عارضة هكسلي بل من تغلب الحقائق على الاباطيل . ولم يبق دارون لينقض تعاليم غيره كما فعل امثاله من رجال القرن الثامن عشر بل ليبنى بناءً جديداً . لكن افاض العلماء اضطربوا من ذلك كأن الارض زلزلت بهم زلزالها واخرجت اثقالها . ولم يحدث في عصر من العصور السالفة ما حدث في عصرهم من الانقلاب

لا مثيل لدارون في ما فعله فهو في تاريخ المعارف ثاني ارسطوطاليس الفيلسوف اليوناني والعالم الطبيعي الذي تقدمه باكثر من الف سنة

نشأ من بيت علم وفضل وهو نسيب فرنسيس غلتن قسيم وسمن في درس الوراثة الطبيعية فاجتمعت فيه مناقب اسلافه وخلا من معابهم ففاهم كلهم . ورث منهم الوداعة والامانة والحجة للطبيعة . وورث من جدم اراسموس دارون قوة التصور والميل الى التعميم واستنتاج الكليات من الجزئيات فكانت الآراء والتعاليل تلوح في ذهنه دائماً كالبرق فلا يرى له مناصاً منها واتجهت فيه الى جهة النشوء اي تولد انواع الحيوان والنبات بعضها من بعض . وورث من ابيه التدقيق في الملاحظة والرغبة الشديدة في معرفة العلل الحقيقية والحذر من الخطأ فكان يبذل جهده دائماً ليبقى عقله حراً فيطرح الآراء التي يكون قد ارتآها والتعاليل التي يكون قد علماها حالما يرى ما يناقضها

ان كان الشعر في الشاعر طبيعة لا اكتساباً فالعلم في العالم طبيعة واكتساب . كان دارون من النوابع بالفطرة ولكن الاحوال التي وُجد فيها اكسبته كثيراً ولو كان يعتقد مثل نسيبه غلتن ان التعليم والاحوال الخارجية لا تؤثر في العقل الا تأثيراً طفيفاً جداً . وقد بخش وسائطه العلمية حقها كما بخش استعدادة النظري حقه وذلك لانه حسب ان

الوسائط العلمية مقصورة على الكتب والعلوم التي تعلمها في جامعي ادنبرج وكمبرج واغفل ما اكتسبه من الناس الذين عاشروهم وسائر الوسائل العلمية التي رغبته في العلم والبحث وارشدته وقادته في السبيل العلمي . فقد استفاد من قدوة ابيه وارشاده واستفاد من قراءة اشعار شكسبير ووردسورث وكردج وملتن ومن كتب بالي وهرشل وهملت ومما سمعه من المباحث العلمية في جامعة كمبرج ومن ارشاد هنسلو النباتي وليل الجيولوجي ومن المشاهد الطبيعية التي شاهدها وهو مسافر في سفينة البيغل . لكن الوسط العلمي الذي انشأه وصيره كما هو لا يوجد الآن في مدارسنا الجامعة لانه صار يتعذر على الطلبة ان يخصصوا الزمن الكافي للدرس الطبيعة في الطبيعة منصرفين عن مشاغل الحياة . ولم تعد المدارس تلتفت الى ذوي الاميال النظرية والمزايا الطبيعية وتنشطهم على اتباعها ولو كانت جمع الخنافس والحشرات . فالوسائل التي نعت دارون كانت كثيرة عظيمة ولكن لا ينتفع منها مثل دارون الا دارون

دخل جامعة كمبرج وعمره ١٩ سنة وكان مغرمًا باللعب والصيد والقنص والركب ظريفًا يحب المزاح لكن ذلك لم يحل بينه وبين معاشرته لكبار العلماء فعرفه رفاقه بانه الشاب الذي يمشي مع هنسلو . وكان هنسلو قسًا جليلاً ومن اكبر علماء النبات وقد استفاد دارون منه أكثر مما استفاد من كل احد سواه فعرفه هنسلو بسدجوك الجيولوجي بعد خروجه من المدرسة واحرز له المكان في سفينة البيغل التي ساحت حول الارض سياحة علمية من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٣٦ على نفقة الحكومة الانكليزية وهذا اهم حادث في حياته العلمية

كل دروس المدارس لا تقابل بنظرة واحدة الى مشاهد الطبيعة حينما يُنْجَل لدى عين باصرة وعقل مستدير . وقد كان لدارون ذلك العقل وتلك العين لانه قرأ كتاب ليل في الجيولوجيا وعرف اقوال هنن في انتظام افعال الطبيعة فاخذ باقوالها ورأى ان ناموس التغير المستمر الذي اثبت ليل استيلاءه على الجبال مستول ايضاً على النبات والحيوان . واعتراقاً بما ليل عليه من الفضل اهدى اليه الكتاب الذي الفه عن سياحته هذه وقال في اهداءه ان الجانب الاهم مما هو علمي في هذا الكتاب وغيره مما لؤلؤف يرجع الفضل فيه الى ما اكتسبه من درس الكتاب البديع كتاب مبادئ الجيولوجيا (اي كتاب ليل) . وانه كانت سفرته هذه اكبر معلم له ومنهم لعقله حتى قال ابوه لما رجع منها ان شكل رأسه قد تغير

وانتقل دارون الى لندن بعد رجوعه من السفر واقام فيها سنتين ليرتب المجموعات الطبيعية التي جمعها ويكتب ما يتعلق بها . واصابه وهو هناك ما منعه من الانتظام في خدمة الحكومة ولو انتظم فيها لخسر العلم ما كسبه منه لكنه أصيب بمرض اضطره الى مغادرة لندن والاقامة في

دون . وقضى اربعين سنة لم ير فيها يوم صحة مثل الناس لكن انحراف صحته الجسدية حفظ صحته العقلية وبشاشة وجهه ولو بقي في لندن واشترك في مهامها لقتله المم قبل اجله كما قتل هكسلي فاني رأيتُ هو وهكسلي سنة ١٨٧٩ وكان عمره ٧٠ سنة وعمر هكسلي ٥٤ ولكن كانت تبين على هكسلي امارات المم والشيخوخة أكثر مما تبين عليه

ونقسم مؤلفات دارون الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما كتبه وعمره بين ٢٨ سنة و ٣٦ قبلما نشر مذهبه في الشوء وموضوعه سواحل المرجان والزولوجيا والجيولوجيا في سفرة البيغل ويومية سفرته هذه . ثم اضطره انحراف صحته الى ترك الجيولوجيا والاقتصار على التاريخ الطبيعى فقضى ثماني سنوات من سنة ٣٧ من عمره الى سنة ٤٥ وهو يبحث في السربديا Cirripedia من الحيوانات الدنيا فكشف له البحث القناع عن ناموس الانتخاب الطبيعى . وكان قد انتبه الى تغير الانواع وعمره ٢٨ سنة ناخذ سنة ١٨٣٧ يستقرى الادلة الدالة على تغير الانواع وكان شديد الملاحظة ينتبه لكل شيء كما كان قوي الاستدلال . ولم يكتف بكتابة ما يؤيد رأيه بل كان ينتبه لكل ما يخالفه ويكتبه . ورأى من المناسبة بين الحيوانات والنباتات وبين الاحوال التي تعيش فيها ما اذهله ثم رأى كتاب ملئ في ازدياد السكان فخطر له حينئذ خاطر تنازع البقاء والتغير المستمر واختيار التغيرات التي هي اكثر من غيرها مناسبة وهي عماد كتابه اصل الانواع

ويمتاز هذا الكتاب بان مؤلفه قضى في اعدادهم وتخصيصه احدى وعشرين سنة ولولم يثق للعالم ولس ان اهتدى حينئذ الى مسألة تحوّل الانواع بالانتخاب الطبيعى وعزم على نشر ذلك لما نشر دارون كتابه حينما نشره

نشر دارون كتابه اصل الانواع سنة ١٨٥٩ وعمره خمسون سنة ونشر بين الخمسين والثالثة والسبعين من عمره تسعة مجلدات كبيرة شرح فيها الاقوال التي قالها في كتابه الاول اصل الانواع واشهرها كتابه في تسلسل الانسان وهو الحلقة الثالثة من حلقات تحرير العقل من قيود الاوهام . الحلقة الاولى لكوبرنكس الفلكي والثانية لدارون في كتابه اصل الانواع والثالثة له ايضا في كتابه تسلسل الانسان . ولا يخفى مقدار الذهول الذي اعترى رجال العلم ورجال الدين والناس اجمع من هذا الكتاب وكيف قامت القيامة عليه

ثم شرح الخطيب كيفية تدقيق دارون في بحثه والتفت الى مذهبه وذكر ما يوافقه وما يخالفه وقال ان اراء دارون كلها وجيبة ولا تزال في مكانتها مهما كتب ضدها ولم يضعف منها الا ما قاله عن وراثة التنوعات الجسدية او الصفات المكتسبة وعن قلة التغيرات الفجائية

وعن نعل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء وبقاء الاصليج وهذا الامر الاخير اهمها
ويكاد يثبت الآن انه لا يحدث شيء بالصدفة والاتفاق بل لكل شيء ناموس يجري
عليه ولو كنا لا نعلمه. ولما ذكر دارون الصدفة قال انه عني بها ما لا يعلم سببه اي انها
مرادف الجهل

وفصل الخطيب كيف لقي دارون اول مرة قال : — في الثامن من نوفمبر سنة ١٨٧٩
لما كان دارون في السبعين من عمره كنت في الثانية والعشرين من عمري ادرس في معمل
هكسلي تشريح الحيوانات القشرية وقد كتبت في يوميتي حينئذ ما يأتي
« كنت منحنياً فوق كر كند هذا الصباح اشترح دماغه فرنعت رأسي ورأيت هكسلي
ودارون مارين امامي ولا اظن انني سأرى بعد الآن عالين كبيرين مثلهما لكنني واطبت
على عملي واذا بهكسلي يكلمني ويعرفني بدارون بقوله هنا اميركي له شغل حسن في علم
البلينولوجيا عبر البحر (اي باميركا) ومدّ دارون يده اليّ فصاحفنه وشددت على يده بكل
عزمي عالماً اني لا اصالح تلك اليد مرة أخرى وقلت له اني مسرور جداً بهذا اللقاء . كان
اطول من هكسلي وجهه احمر وعينه زرقاوان وحاجباه كتان يغطيانهما وحيثه طويلة
بيضاء كلها ومنظرة غير جميلة ولكن وجهه يشوش جداً فتبسم وودّ ان لا يعاق مارش (الطبيعى
الاميركي) وتلامذته في شغلهم العلمى . اما هكسلي فقال له يجب ان امنعك عن الكلام الكثير
ثم سار به . ولم يكذب يخرج من الغرفة حتى حسدني التلامذة على كلامه معي

اما من حيث مخالفة العلم الطبيعى للدين فالعلماء قد اخذوا الآن ينفون هذه المخالفة . واذا
نظر خلفاؤنا الى العلم الطبيعى والدين بعد ثلث مئة سنة او اربع مئة سنة رأوا مذهبين عظيمين
الاول شرقي لا شأن فيه للطبيعة والنواميس الطبيعية بل هو اديني ديني نشأ على ضفاف النيل
ودجلة والفرات وبعد ان مرّت عليه خمسة آلاف سنة في الجهاد بلغ اوجه في فلسطين حيث
قيل ان الكون كله صنعة يد الله وعلى الانسان ان يحب قريبه كنفسه . والمذهب الثاني غربي
ابتدأ قبل هذا الحادث الاخير بستة قرون ابتداء بالبحث عن الطبيعة ونواميسها وسار سيرا حثيثا
في بلاد اليونان ووقف بوقوفها ثم تجددت حياته بعد تسعة عشر قرناً بكوبرنيكس وغليليو وبلغ
اوجه دارون . والانسان جزء من الطبيعة وهو يجد لذته بدرستها وخيره بمعرفة نواميسها .
وسيرى خلفاؤنا ان هذين المذهبين مذهب المحبة ومذهب المعرفة المذهب الروحي والمذهب
العقلي متفقان متضامنان لا تناقض بينهما

السر فرنسيس غلتن

SIR FRANCIS GALTON

أبانا البرق بالامس ان ملك الانكليز منح هذا العالم العلامة لقب سر . وقد جرى ملوك الانكليز على منح القاب الشرف للذين يفوقون اقرانهم في العلم كما يمنحونها للذين يفوقون الاقران في الغنى او في السياسة او في قيادة الجيوش ولو كان نصيب العلماء من ذلك قليلاً بالنسبة الى نصيب غيرهم وهم اولى من كل احد بالنصيب الاكبر

ولد السر فرنسيس غلتن سنة ١٨٢٢ فهو الآن في السابعة والثمانين من عمره وامه ابنة اراسموس دارون فتشارلس دارون المشهور ابن خاله

طلب العلم في مدرسة برمنام واختار علم الطب فدرسه فيها وفي كلية الملك بلندن ثم في كمبردج ونال الدبلوما منها سنة ١٨٤٤ وقام للسياحة فزار القطر المصري وصعد الى اعالي البحر الابيض فكان اول الرواد الاوربيين في تلك الانحاء وكثيراً ما قال لنا انه يعرف مصر قبلنا ولدنا

ثم ساح في الجنوب الغربي من افريقية سنة ١٨٥٠ ومر في بلدان لم تطأها رجل اوربي قبله وكتب رحلته في كتاب عنوانه اخبار سائح في افريقية الجنوبية الاستوائية نشره سنة ١٨٥٣ فاهدت اليه الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي . ثم ألف كتاباً آخر ونشره سنة ١٨٥٥ موضوعه صناعة السياحة او الوسائل التي يجب على السائح الالتجاء اليها اذا ساح في البوادي وبلاد المتوحشين فكان رواجه عظيماً وأعيد طبعه خمس مرات بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٧٢

وزار شمالي اسبانيا سنة ١٨٦١ وبحث في البلاد وسكانها بحث العالم المدقق ونشر خلاصة مباحثه في كتب سماها فرص السائح

والثفت الى علم الاحداث الجوية فبحث فيه ونشر خلاصة مباحثه سنة ١٨٦٣ وهذه اول رسمت فيها احوال الجو في خرائط كبيرة . فجعل عضواً في لجنة مجلس التجارة التي تبحث في الاحداث الجوية

وعكف بعد ذلك على الوراثة الطبيعية والبحث في قوانينها وشؤونها المختلفة واخلق الناس وهو البحث الذي شهره وسبق اسمه مقروناً به . ونشر كتابه الاول في النبوغ الوراثي ونواميسه ونتائج سنة ١٨٩٩ فكان له اعظم وقع في الدوائر العلمية والطبية . ثم اتبعه بكتاب

آخر موضوعه علماء الانكليز وكيف ولدوا وكيف تربوا نشره سنة ١٨٧٤ وآخر موضوعه البحث في قوى الانسان ونموها نشره سنة ١٨٨٣ وآخر موضوعه معرض الحياة وآخر موضوعه سبل القوى العقلية في الاسر وآخر موضوعه الوراثة الطبيعية والتفت حينئذ الى موضوع آخر وهو علامات الانامل ودلائلها القاطعة على اصحابها والفت في ذلك كتابين نشر اولهما سنة ١٨٩٢ والثاني سنة ١٨٩٥ وقد قال في اولها انه انتبه لهذا الموضوع سنة ١٨٨٨ وهو يعد خطبة في تحقيق الشخصية لدار العلم الملكية حسب طريقة برتلون المبنية على قياس القامة والاعضاء المختلفة فخطر له حينئذ ان يبحث في آثار الانامل لانه كان قد سمع ان آثارها لا تتغير فرأى ان الموضوع هام جداً وان ما يعرف منه قليل بالنسبة الى ما لا يعرف فاشتغل به وجعل ينشر ما يقف عليه او يحققه بنسبه في المجالات العلمية من سنة ١٨٨٨ فصاعداً . ولما زار القطر المصري حديثاً رأى طريقة آثار الانامل مستعملة فيه لتحقيق الشخصية فسر بذلك سروراً عظيماً

وله رسائل ومقالات كثيرة في المواضيع المشار اليها آنفاً ولا سيما في الوراثة الطبيعية وهو الذي جعل للوراثة قانوناً حسابياً فقال ان الحيوان يرث نصف ما فيه من والديه والنصف الاخر من اسلافها فيرث الربع من والدي امه والربع الاخر من اسلاف والدي ابيه ووالدي امه وهلم جرا . وقد قام حديثاً ينادي بوجوب اصلاح نسل الانسان وانشأ لذلك المجلة التي ورد ذكرها في الجزء الماضي من المقتطف وما قبله وقد منح كثيراً من النياشين العلمية كنشان الجمعية الملكية الذهبي ونيشان هكسلي ونيشان دارون . وكان سكرتيراً لمجمع ترقية العلوم البريطاني من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٨ ورئيساً لقسم الانثروبولوجيا فيه

وقد تعرفنا بكثير من الناس من ام وطوائف مختلفة ولم نرا اكثر وداعة والين عريكة من علماء الانكليز الذين لقيناهم كترسترام وافانس وغلتن ولكير ومكلستر وسايس وبيري فانهم كلهم آية في الانس والدعة والبعد عن الدعوى حتى ان من لا يعرف ما لهم من التأليف الكثيرة والشهرة الواسعة لا يظنهم على شيء من العلم والذي يعرف كتبهم وشهرتهم يظن ان يرى غير الذين سمع عنهم

نهني صديقنا السرفريس غلتن بما نال من ملكه عن استحقاق ونرجوان يفسح له في الاجل لخدمة العلم ونوع الانسان

نشوء الانسان والحيوان

الادلة الجغرافية

وهي تبحث في انتشار الاحياء على وجه البسيطة وفي اختلاف انواعها بالنسبة الى الاقليم ثم تبين ان ذلك من ضرورات النشوء

قال دارون «من امعن النظر في توزيع الكائنات الآلية على سطح الارض لا يسهل التعليل عمّا بينها من المناسبات والمباينات الا بما في الاقطار المتضادة من اختلاف البيئات وتباين الاحوال الطبيعية . فقد اجمع العلماء على ان هذه الكائنات بالنظر الى توزيعها الجغرافي تنقسم الى ما يختصّ بالعالم القديم الى ما يختصّ بالعالم الجديد

ومعلوم ان العالم الجديد يشتمل على نظائر اقليم العالم القديم ولكن احياء كل منهما تختلف عن احياء الآخر اختلافاً عظيماً . ومن نظر الى السدود الطبيعية التي تحول دون مهاجرة الكائنات الآلية من اقليم الى آخر يرى اختلاف هذه الكائنات موافقاً لاختلاف الاقاليم المنفصلة بالسدود . والاحياء المائية تختلف كالاحياء البرية بعضها عن بعض في الاماكن المختلفة بمقدار ما يحول بينها من السدود . اما المباينات بين الكائنات المنتشرة في الاقاليم المختلفة فصدرها التغيرات الحادثة من جراء الانتخاب الطبيعي بما يؤدي اليه تنازع البقاء حيث كانت الحواجز الطبيعية تحول دون هجرتها في ازمدة متفاوتة (١) » اهـ

ولقد قسم العلماء الارض الى خمس مناطق وهي

(١) منطقة النخل . وهي تقابل المنطقة الحارة . فيها يكثر النخل ونظيره من اشجار المنطقة الحارة

(٢) منطقة الخشب . وتقابل المعتدلة ونبيها تكثر الاشجار الخشبية الساق

(٣) منطقة الصنوبر . وتقابل المنطقة المعتدلة الباردة

(٤) منطقة الانجم وهي الباردة ولا يوجد فيها غير الانجم والنباتات التي تعيش في المنطقة الباردة

(٥) منطقة الجمد الدائم . ولا احياء فيها . — ولقد توجد هذه المناطق جميعها في

جبل شاخ من جبال المناطق الحارة والمعتدلة

وضع العلماء تلك المناطق ثم جعلوا لها القضايا الآتية

(١) تنوير الازهان للدكتور زلزل مجلد ١ جزء ٢ ص ١٢ . بتصرف قليل

- (١) دائرة الحيوان . ويراد بها قسم من الارض تسكنه طائفة من الحيوان ويختلف اتساعها بالنسبة الى تلك الطائفة . ندائرة الصنف مثلاً اضيق من دائرة النوع ودائرة النوع اضيق من دائرة الجنس ودائرة الجنس اضيق من دائرة الرتبة وهلم جرا . مثال ذلك نوع الصنوبر في جبال السيرا نان دائرته تمتد من علو النفي قدم الى علو احد عشر الفا ولكن هذا النوع اصناف لكل منها دائرة اضيق من دائرة النوع التي تشمل الجميع
- (٢) اذا تماست دائرتان فلا حد واضح بينهما بل قد يمتزج طرفاهما امتزاجاً يصعب معه وضع حد لاهدى الدائرتين
- (٣) قد تعدى الانواع الى دوائر سواها ولكن هذا التعدى يتوقف على عدد الانراد في ذلك النوع وعلى شدة بأسها
- (٤) ولئن تماست الدوائر وتمازجت اطراف الانواع بعضها ببعض فالانواع لا تنفیر عن اصلها ولكن افراد النوع الاقوى تحل محل الافراد من النوع الاضعف وتبقى على ما كانت عليه اولاً
- (٥) لا تنماس الدوائر الا اذا كان الفاصل الطبيعي بينها اختلاف الحرارة اما اذا كان غير ذلك من الفواصل كالجبال الشاهقة والبحار الزاخرة والصحاري المحرقة فلا تماس ولا تمازج بينها
- (٦) المناطق الخمس شمالي خط الاستواء موجودة ايضاً جنوبيه . ولكن الانواع في الشمال تختلف قليلاً عما يقابلها في الجنوب . اما اذا نقل حيوان من منطقة في الجنوب الى ما يقابلها في الشمال او بالعكس ناله ببق هناك ويعيش كما لو كان في اقليمه الاصلي
- (٧) لحيوانات الجزر المحاطة بحار عميقة خصائص لا توجد في غيرها . ومثلها حيوانات مدغسكر واوستراليا
- وما يصدق على البر من هذا القبيل يصدق على البحر ايضاً على ان لهذه القضايا شذوذاً لا بد من ذكرها هنا . وهي (اولاً) في الانواع التي حملها الانسان من منطقة الى أخرى وعاشت فيها . (ثانياً) في الانواع الرحالة او الكثيرة الصبر على اختلاف الاقليم فانها تقدر ان تعيش في اثنين من المناطق المتاخمة على السواء . (ثالثاً) في الآلية وسياقي بيانها كيف نعلل القضايا السابقة
- قال النوعيون . ان وجود الانواع في الدوائر المختلفة دليل على خلقها مستقلة . ويؤيدون ذلك بائ يستحيل احياناً اجتنياز الفواصل التي بين تلك الدوائر . ولا غبار على هذا القول اذا اعبرنا ان الانواع وجدت الآن . اذ لا سبيل الى انتشارها على نحو ما هي عليه الا ان تكون خلقت مستقلة في اماكنها . ولكن اذا رجعنا الى تاريخ الارض وعرفنا ان

الجبال والبحار والصحاري لم توجد بغنة بل اقتضى لوجودها الازمان المتطاولة ثم لاحظنا ان انتشار الحيوان الجغرافي كان يختلف في كل دور من الادوار الجيولوجية رجعنا عن الرأي الاول الى القول بان الانتخاب الطبيعي هو السبب في ذلك الاختلاف . او كما اورد الدكتور زلول لدارون « ان انواع الجنس الواحد على اختلاف سكنها في اقطار الارض السحيقة في البعد صادرة من اصل واحد لانها يمكن ردها الى جذع جامع وان الكائنات الحية على اختلاف انواعها انما نشأت منذ البدء في جهة واحدة من الارض تعرف بمركز الخلق وقد انتشرت من ذلك المركز في الاقطار المختلفة وفاقاً لما تقتضيه الاحوال » . ولا ثبات ذلك نقول ان النشوء يقتضي الامور الآتية وهي —

- (١) ان ارتفاع المملكة الحيوانية متوقف على نواميس ثابتة اخصها نالموس الثباين
- (٢) ان البيئة وتنازع البقاء يزيدان الثباين بين الافراد
- (٣) ان في نشوء الارض من حالتها الأولى الى الحالة الحاضرة حدثت ارتفاعات كثيرة تغيرت بواسطتها حرارة الاقاليم وهاجر كثير من الانواع الى الدوائر المختلفة فاخطلطت مع الانواع الاخرى ولذلك لا نرى اختلافات عظيمة بين انواع الدوائر المتناخمة
- (٤) وعقب ذلك انخفاضات كبيرة انفصلت على اثرها بعض الدوائر نصارت الانواع تزداد تبايناً وبقيت الارتفاعات والانخفاضات تتوالى حتى جاء الدور الجليدي (ودو الدور الذي انتشرت فيه الاحياء انتشارها الاخير) وانقضى فثبتت الاحياء في الحال التي تشغلها الآن والظاهر من الآثار الجيولوجية ان الجليد كان يغطي كل البلاد الشمالية الى الدرجة ٣٨ و ٤٠ عرضاً فنزحت حيوانات المنطقة الباردة الى المنطقة المعتدلة وحيوانات المعتدلة الى الحارة . ثم عقب ذلك اعتدال في الحرارة فتراجعت بعض الحيوانات المهاجرة الى اوطانها وتلا ذلك انخفاضات هائلة وقيام الفواصل العظيمة على اثرها فتعذر الجلاء على الحيوانات الواقعة بين تلك الفواصل وبقيت حيث هي

في مدة الارتفاعات كانت اوربا واسيا وافريقية متصلة ولاسيما في جهة البحر المتوسط والبحر الاسود فنزحت حيوانات اوربا الى افريقية وكذلك نزح كثير من حيوانات اسيا الى اوربا والى افريقية والراجح ان الانسان نزح مع الحيوانات التي نزحت في ذلك الوقت هذه مقتضيات النشوء فهل تؤيدها الحقائق المشاهدة . نعم واليك بعض الامثلة اولاً استراليا — يلاحظ في حيوانات هذه القارة امران . الاول غرابتها واختلافها الشديد عن سائر الحيوان . والثاني انحطاطها بالنسبة الى حيوانات القارات الاخرى . ففيها

الحيوانات اللبونة البائضة وذوات الاكياس وكثير من حيوانات الدور الثاني مما لا يوجد في سواها . فما السر في ذلك ؟ السر في ان استراليا انفصلت عن سائر القارات في احد الادوار الجيولوجية القديمة . لما حدثت الانقلابات العظيمة في القارات الاخرى وعقبها تمازج الانواع واقتتالاً الشديداً على البقاء كانت حيوانات استراليا هادئة البال لا يهاجمها احد من الخارج ولذلك ارتقت الحيوانات في القارات الاخرى وتغيرت وبقيت الحيوانات في استراليا على ما كانت عليه لم تمتزج بغيرها ولم تضطر الى التنازع مع غريب على مكانها . ومن درس حيوان استراليا يمكننا تعيين الوقت الجيولوجي الذي انفصلت فيه تلك القارة عن سائر القارات . فان الحيوانات اللبونة قسماً الاول اللبونة الحقيقية ولا يوجد منها في استراليا الا بعض الخفافيش والجرذان . والثاني انا بونة غير الحقيقية وهي لا توجد الا في استراليا يستثنى من ذلك « الابوسوم » الموجود في اميركا . في الدور الثنائي كانت الحيوانات اللبونة غير الحقيقية منتشرة في كل الارض . اما اللبونة الحقيقية فلم تظهر الا في الدور الثلاثي وعليه لا بد من القول ان استراليا انفصلت عن اسيا قبل الدور الثلاثي وان انفصالها هذا حفظ الحيوانات التي كانت فيها (وهي اللبونة غير الحقيقية) من تهديت الحيوانات التي ظهرت في الدور الثلاثي (وهي اللبونة الحقيقية) وبالعكس ذلك في اسيا واوروبا فان اللبونة الحقيقية اهلكت غير الحقيقية وحلت محلها ثانياً افريقية — وهي تقسم الى قسمين رئيسيين (افريقية الشمالية) وهي ما وقع شمال الصحراء (و افريقيا الجنوبية) وهي ما وقع جنوبها . اما الشمالية فحيوانها كحيوان اسيا واوروبا ولذلك ضرب عنها صفحاً الآن وتخطاها الى الجنوبية وطن الحيوانات الانريقية الاصلية حيوانات هذه البلاد قسماً (١) الحيوانات الدنيئة الغريبة الشكل كالحشرات الافريقية والقروود المعروفة باسم الليمور وغيرها وهي تشبه حيوان مدغسقر . (٢) الحيوانات الكبيرة الشديدة البأس وهي تشبه حيوانات اسيا واوروبا التي عاشت في الدور الثلاثي الاحدث . فالذي يستنتج من ذلك ان حيوانات افريقية الجنوبية كانت في الاصل من القسم الاول فلما انفصلت عن البلاد الشمالية بواسطة الصحراء او البحر الذي كان في محلها بقيت الحيوانات فيها ضعيفة دنيئة . ثم جاء الطور الجليدي واتصلت افريقية الشمالية بالجنوبية فنزحت الحيوانات الشمالية الى الجنوب ونازعت الحيوانات الاصلية البقاء وعقب ذلك انخفاض عظيم انفصل به القسم الشمالي والجنوبي مرة اخرى ولم يعد من اتصال بين افريقية الجنوبية والبلاد الشمالية فبقيت حيواناتها على ما كانت عليه لم تختلط كثيراً بالحيوانات التي نزحت من اسيا الى اوروبا النزح الاخير

ثالثاً مدغسكر — وهي تشبه استراليا بغرابة حيوانها ولا ريب ان هذه الجزيرة كانت متصلةً بأفريقية باديةً بدءً ثم انفصلت عنها قبل ان تنزح الحيوانات الشمالية الى افريقية ولذلك نجد فيها حيوانات القسم الاول من حيوانات افريقية الجنوبية ولا نجد فيها نوعاً من انواع القسم الثاني

رابعاً جزر البحار وهي نوعان — الساحلية اي القريبة من سواحل القارات . والمستقلة اي الواقعة في عرض البحار بعيدة عن الساحل

فالساحلية كانت متصلة بالبر وحيوانها يشبه حيوان القارة القريبة منها اما درجة الشبه بينهما فتوقفة على تاريخ الانفصال . فحيوان مدغسكر مثلاً فتراه لا يشبه حيوان افريقية كثيراً وذلك بعد عهد الانفصال . اما زيلاندا وقد انفصلت عن استراليا بعد ان انفصلت مدغسكر عن افريقية فحيوانها اكثر شبيهاً بحيوان استراليا من حيوان مدغسكر بأفريقية . وحيوان انكلترا مثل حيوان سائر اوربا تماماً وذلك لان انفصال الجزر الانكليزية حديث العهد جداً فلم يكن ثمة وقت كافٍ لان يتغير حيوانها كثيراً

وما يصدق على الجزر الساحلية لا يصدق على الجزر للمستقلة . فان حيوان هذه لا يشبه حيوان قارة معينة . واول ما يلاحظ فيها عدم وجود الحيوانات اللبونة والحيوانات البرية المائية . وما وجد من سواها فهو مزيج من زحافات وحشرات دينئة انتهت لا شك مع المجاري البحرية او مع الرياح السارية فاذا غلب فيها نوع من الحيوان فذلك لسهولة الطريق لديه

خامساً الانواع الالية ويراد بها الانواع التي على الجبال الثلجية الشاخنة . وهي متشابهة مهما بعدت الجبال بعضها عن بعض فاحياء الالب مثلاً كاحياء جبال اسيا او افريقية او اميركا العالية . وتعليل ذلك ان الانواع الشمالية كانت منتشرة في الدور الجليدي فوق البلاد الشمالية والمعتدلة . فلما انقضى ذلك الدور وتراجعت الانواع الباردة الى اماكنها الشمالية تبع قسم منها خط الثلج الدائم الى اعالي الجبال الشاهقة حيث الاقليم يقارب اقليم المنطقة الباردة وبقي هناك الى الوقت الحاضر

والخلاصة ان الاحياء كانت منتشرة في الارض كلها بحسب درجة احتمالها للبرد او للحر . على ان التغيرات الجيولوجية وما عقبها من تغير الحرارة وقيام الفواصل وما كان يصحب تغير الحرارة من النزح والتنازع الشديد بين الحيوانات الاصلية والحيوانات النازحة كل ذلك ادعى الى الاختلاطات الكثيرة بين الانواع والى توزيعها على ما هي عليه الآن

الانتخاب الاصطناعي

ركن العلم التجربة — فاذا اراد العلماء اثبات رأي ما امتحنوه بما لديهم من التجارب الممكنة .
ولقد حاول كثير من النشويين ان يقيسوا النشوء بمقياس الحقائق المجربة فلم يوفقوا الى
غرضهم كل التوفيق وذلك لما يقتضيه النشوء من الاسباب التي يتعذر الوصول اليها في الوقت
الحاضر ناهيك بقصر عمر الانسان ازاء الالوف من السنين التي تتطلبها تجارب الوصول الى
النتيجة المطلوبة . على ان لبعض مربي الحيوان والنبات تجارب يحسن بنا ذكرها للدلالة على
كيفية نشوء الاصناف

ياخذ المربي شكلاً من الحيوان فيه صفات مستحبة ثم يولد من هذا الشكل نسلاً وينتقي
من ذلك النسل ما كانت الصفات المطلوبة فيه واضحة تمام الوضوح ثم يولد من هذا الشكل
افراداً اخرى وينتقي منها الاحسن على نحو ما فعل المرة الاولى . ولا يزال كذلك يولد وينتخب
الاحسن حتى يصبح وقد انشأ صنفًا من الحيوان يميزه عن سائر الاصناف ما ورثه من الصفات
التي كان المربي يهتم بابقائها . وامثلة ذلك من النبات اصناف الورد والصبير ومن الحيوان
الفرس والكلب والهر وغيرها . ويلاحظ هنا امران

الاول — ان الفرد لا يرث من ابويه الا ذين فقط بل من كل اسلافه وهو واثن كان ما يرثه
من ابويه اعظم مما يرثه من احد اسلافه فجميع ما يرثه من اسلافه اعظم مما يرثه من ابويه
الثاني — في تربية شكل من الحيوان وتاصيله تنقوى في ذلك الشكل مع كروار الزمن
صفات خاصة تصبح مع الوراثة ثابتة في ذلك الشكل

هذا هو الانتخاب الصناعي . فاذا قدر الانسان فيما لا يذكر من السنين ان ينشئ اصنافاً
مختلفة من نوع واحد فلماذا لا تقدر الطبيعة في الالوف من السنين ان تنشئ الانواع .
المعارضون للنشوء لا يشكون البتة في الانتخاب الصناعي ولكنهم يقولون انه لا وجه للشبه
بين الانتخاب الطبيعي والانتخاب الصناعي وهاك اعتراضاتهم مع الرد عليها

١ الرجوع الى الاصل — قالوا ان في الاصناف الصناعية ميلاً الى الرجوع الى الاصل
الذي نشأت منه بخلاف الانواع الطبيعية فانها ثابتة لا تتغير . فيرد على ذلك بان التغير
الصناعي كان سريعاً جداً فلم يكن ثمة وقت كاف لتقوية الصفات الخاصة في الاصناف
بحيث تصبح ثابتة فيها . اما في الانتخاب الطبيعي فان الطبيعة تسير سيراً بطيئاً جداً وبذلك
يتولد في الاصناف صفات خاصة تصبح مع كروار الزمن ثابتة لا تتغير

٢ الحلقات الوسطى — قالوا ان التدرج ظاهر في الاصناف الصناعية بخلاف الانواع

الطبيعية فان لا حلقات وسطى تربطها بعضها ببعض
وسببهُ ان التنازع الشديد بين الاصناف الطبيعية يؤدّي الى بقاء الانسب والى هلاك
الاضعف . ولا شك ان انقراض كثير من الحلقات الوسطى راجع الى التنازع بين الاحياء
ناهيك بان التغير الصناعي يمكن مشاهدته بالعين اما الطبيعي فلا سبيل الى معاينة الاشكال
الوسطى فيه قبل هلاكها لما يقتضيه من الوقت الطويل كما اشرنا الى ذلك قبلاً . وسيضيع
ذلك جلياً في الكلام على الانتخاب الجنسي

٣ الانتخاب الجنسي . ويراد به ان الاصناف الصناعية تتزاوج وتنتج بخلاف الانواع
فانها لا يمكن ان تلد نسلًا اذا تزوجت

ولا يوضح ذلك يجب ان نفهم ان في التناسل امرأهًا وهو الميل الطبيعي في حال
الطبيعة ينتخب الفرد من الحيوان ما يميل اليه من الافراد الاخرى فيتزاوجان ويلدان نسلًا
في غالب الاحيان . اما في الاصناف الصناعية فهذا الانتخاب الطبيعي معدوم فان المرء قد
يلقح اصنافًا بعضها من بعض وهي لو تركت للطبيعة لما حدث اللقاح بينها ابدًا . وقد يجمع
بين نوعين من الحيوان لا تجمع الطبيعة بينهما لو خُيرت فتتولد البغال وتكون بالطبع عقيمة .
واليك ناموس التناسل . وهو ان التزاوج بين الاصناف المتباينة الى حدٍ معلوم افضل واحسن
نسلًا من التزاوج بين الافراد من الصنف الواحد . وان التزاوج المستمر بين افراد الصنف
الواحد او بين الاصناف التي جاوزت الحد المعلوم في تباينها عقيم ولا نتاج منه
في الحيوانات الدنيا لا تزأوج وانما الفرد يشطر نفسه شطرين يصير كل منهما فردًا
مستقلًا . فاذا علوت قليلاً رأيت النسل في بعض الاحياء بشكل برعمة تنمو في الجسم الاصلي
وتبقى متصلة به وفي الاجناس الارقي من تلك ترى البرعمة تنفصل عن جسم الاب ثم متى علوت
الى طائفة اخرى رأيت للبرعمة محلاً خصوصيًا في جسم الحي الاصلي وهو بدء الاعضاء
التناسلية . وهكذا ننتدج الاعضاء التناسلية في الارتقاء حتى تراها في بعض الحيوانات نوعين
ذكرًا وانثى وكلاهما في جسم واحد . ثم يتصل الى الحيوانات العليا فترى كل نوع منها في
جسم واحد لنفسه وكما ارتفعت في سلم الاحياء رأيت الاعضاء التناسلية ثنائي وتزداد
تباعدًا وتلك حكمة في الطبيعة لان النسل المولود من فردين مختلفين افضل من المولود من فرد
واحد وذلك لان الاول يرث صفات مختلفة يبقّي الانسب منها فيه بخلاف الثاني فان ما يرثه
كمية قليلة جدًّا لا سبيل الى التنازع فيها . وهذا هو السبب في افضلية التزاوج بين الاصناف
المتباينة اللهم اذا لم يتجاوز تباينها الحد المعلوم . ولنرجع الى ما كنا فيه

كيف نشأت الانواع من الاصناف ؟ سؤال اجاب عنه الدكتور « رومانس » بقوله انه قد ينشأ بين الاصناف صنف اذا تزوج مع غيره فنسله يكون ضعيفاً جداً او قد لا يكون له نسل البتة . فهذا الصنف يتفصل عن سائر الاصناف وتصير افراده تنزاوج بعضها من بعض فيكثر بذلك الاختلاف بينه وبين سائر الاصناف ولا يزال كذلك حتى يصبح بعيداً عنها جداً (اي يصير نوعاً)

اما الاصناف الصناعية فلم تتفصل بداعي الاختلاف الجنسي بل بدواعي اخرى كاللون والحجم والشكل وغير ذلك من التباينات العرضية ولذلك فتتاسلها اذا تزوجت ممكن . فاذا قيل لماذا لا تنتج الانواع من بعضها قلنا لان النوع لم يصير نوعاً الا لاختلافه الجنسي عن غيره من الانواع وذلك سبب كاف لعدم انتاجها وبالعكس ذلك الاصناف الاصطناعية فان كونها اصنافاً راجع الى اختلافات وتباينات عرضية اراد المربي ان يبقيا فيها . ونشوء الانواع بالانتخاب الجنسي يفسر لنا مسألة الحلقات الوسطى بينها . فانه لما كان انفصال الصنف عن سائر الاصناف راجعاً بالاكثير الى اختلاف الجنس عنها كانت الانواع الناشئة في منطقة واحدة او اقليم واحد واضحة الاختلاف جداً ولا سبيل الى وجود حلقات وسطى بينها اذ ذلك ما يقتضيه الانتخاب . وبالعكس ذلك الانواع التي نشأت في اقاليم تفصلها فواصل طبيعية فقد وجد العلماء كثيراً من الحلقات المتوسطة بينها . وفي الختام نبسط النتائج الآتية

١ لا حد للتباين بين افراد نوع من انواع الحيوان فتتازع هذه الافراد البقاء ويشهد التنازع بين الافراد الاكثر مشابهة فيبقى الانسب منها ويتفصل عن سائر الافراد نوعاً ما وينقرض الاكثر مشابهة له غالباً

٢ اعتبر ان التباين في الفرد الذي انفصل قليلاً عن غيره وصل الى درجة بطل عندها ميله الجنسي الى ما دون افراد صنفه من الحيوانات فيستقل ويزداد تباعداً مع مرور الزمن حتى يصير نوعاً

٣ أضف الى ذلك نزح الاصناف وما يتأتى عنه وعن تأثير البيئة مما يزيد التباين تدرجاً ان النشوء الآتي امر طبيعي وان انقراض الحلقات الوسطى من مقتضيات النشوء احياناً

٤ الحلقات الوسطى ليست نادرة الا بين الانواع فهي كثيرة بين الطوائف الحيوانية الكبيرة والسبب في ذلك كله ما اكتشف حتى الوقت الحاضر من التحجرات الدالة على تاريخ الكون وانقراض تلك الحلقات بسبب التنازع بين الاحياء المتشابهة كما قدمنا

انيس الياس الخوري

الحياة والموت^(١)

لا يبالغ الانسان اذا قال ان المسيو متشنيكوف اكبر ثقة في الطب اليوم . فقد كان في حياة الشهير باستور ساعده اليمن وهو اليوم خليفته في الاكتشافات الطبية التي احنكرها تقريباً بمعمل باستور . فمن وظائف الليكوسيت الى اكتشاف ميكروبات السفلس الى تصلب الشرايين الى كثير غيرها مما يدل على نضل هذا الرجل ونريد هنا تلخيص كتابين له يفسر فيهما نظريتين عن الحياة والموت كان لهما دوي كبير في الدوائر العلمية ثم نتبعها بأرائه في اطالة الحياة

١ اصلنا الحيواني

لا اظن ان قارئاً للمقنطف يشك للآن في اصل الانسان الحيواني ولذلك لا أرى داعياً ليراد ادلة دارون المتداولة على ذلك . بل آتي هنا على ادلة اخرى اوردها متشنيكوف هي غاية في البيان

فاول هذه الادلة عملية الترسيب في الطب الشرعي التي تدل على اننا والقرد من عائلة واحدة . والعملية مبنية على حقيقة بيولوجية مفادها ان رواسب دم الحيوانات تشابه او تتفارق بنسبة مشابهة الحيوانات او مفارقتها . فرواسب دم الانسان تختلف عن رواسب دم البقر ولكنها تشابه رواسب دم القرد . ورواسب دم البقر والجاموس تشابه ايضاً مما يدل على قربهما في سلسلة النشوء . فالحكاكم اليوم تستعمل هذه العملية للتمييز بين دم الانسان والحيوان في حوادث القتل التي يشتبه فيها بين الدمين وهذه المحاكم نفسها التي تؤيد بعملها هذا ما ينفي التقاليد القديمة تعاقب من يقول شيئاً ضد التقاليد القديمة

قال متشنيكوف وفي عواطفنا ومشاعرنا كثير مما يدل على اصلنا الحيواني . مثال ذلك وقوف الشعر وقت الخوف فحن والحيوان سواء في هذه الصفة وقد كانت تفيدنا ونحن في دور الحيوانية اذ انها كانت تعطي الخائف هبةً ربما تغلب بها على مهاجمه . وما انكماش الجلد ونفش الريش في الطير الا اشكال اخرى لهذه الصفة . ولو فحصت قوة الحواس وضعفها في الحيوان لرأيت اشتراكنا معه فالانسان والقرد يختلفان عن بقية الحيوانات بضعف حاسة الشم والسمع هذا قليل من كثير اكتفي به كتمهيد لموضوعنا وأشير على الراغب في التوسع بالكتاب نفسه

(١) The nature of man and the prolongation of life by Metchnikoff.

٢ الموت غير طبيعي في الانسان

اذا قلنا ان الجوع في الانسان طبيعي اردنا بذلك ان الطبيعة اوجدت الجوع كما اوجدت اليد او الرجل اي انه واسطة لحفظ الجسم وبدون الشعور به يموت الفرد كما لو هاجمه حيوان واقتصره . فهل الموت على هذا القياس طبيعي ؟ اذا كان كذلك فلماذا لا نشعر برغبة فيه كما نشعر برغبة في الاكل ؟ حتى لو فرضنا ان الموت طبيعي لعمينا عن غرض الطبيعة منه اذا ما هو الداعي الذي يدعو الى خلق الحي ثم قتله ؟

من الاحياء اليوم ما يعيش دائماً كـ بعض انواع البكتيريا وبعض النباتات والاحياء الدنية . فخشيش الجنائن اذا حش قبل الازهار عاش دوماً ولكن اذا ترك ليزهر مات بعد الازهار . يقول متشنيكوف ان موته في هذه الحالة ناشئ عن تسم ذاتي يتكون وقت الازهار . ثم استنتج ان جميع الحيوانات تموت مقتولة بتسم ذاتي ينشأ من الطعام وهو سبب موت الانسان فالحيوانات ذوات القولون اي المعى الغليظ من الامعاء الذي تحفظ فيه بقايا الطعام اقصر عمراً من الحيوانات التي تعيش بدونه . فالغراب والبيغاء والسحفاة يصغر القولون فيها الى حد العدم واعمارها اطول من عمر الانسان . فطول العمر او قصره يكون دائماً على نسبة قصر القولون او طوله . والقولون في الانسان هو احد الاعضاء الاثرية التي ورثها من الحيوانات حين كان يحتاج الى حفظ بقايا اكله في جوفه وقت الجري او القتال وفي هضم النباتات الجامدة كالحبوب وغيرها . وهذا سبب فائده للفرس والبقرة لان امعاءها لا تقدر على هضم الفول والشعير فاذا وصلا الى القولون جزأتها البكتيريا وسهلت عملية الهضم . ولكنها في هذا العمل تقتل الحيوان بما تطرحه في جسمه من التسمين او السم . وفعله في الاجسام فعل الكحول الذي هو في الحقيقة سم البكتيريا التي تخمر العنب او غيره

فاذا فهمنا ذلك سهل علينا معرفة سبب طول حياة الغراب مثلاً . فاذا شرحت الغراب وجدت ان قولونه صغير جداً حتى ان بقايا الاكل لا تبقى فيه وقتاً كافياً لتعفن اي لتحل بها مكروبات التعفن وتملاً الجسم من سمومها . وهذا على عكس الحالة في الانسان . فالقناة الهضمية تتكون من المعدة والمعى الدقيق والمعى الغليظ او القولون . فالمعدة اذا صرفنا النظر عن هضمها للمواد النشوية لا نرى لوجودها فائدة خصوصاً اذا تذكرنا استعدادها للأمراض . والمعى الدقيق قادر على تأدية وظيفتها . ذكر متشنيكوف حادثة قطعت فيها المعدة وواصل المعى الدقيق بالمرى وعاش صاحبها . والقولون في الانسان ليس فقط عديم الفائدة بل هو مضر . ذكر المؤلف ايضاً حادثة قطع القولون فيها وشفى صاحبه . فالخلاصة ان المعى الدقيق قادر وحده على القيام بالهضم

٣ كيف يموت الانسان

بعد هضم الاكل تطرح بقاياه في القولون وهو تربة صالحة للمكروبات وغيرها وهذه تنفث سمومها في الجسم فتقلل جهويته شيئاً فشيئاً فينكمش القلب وتصلب الشرايين وتضيق الكبد وينقلب الليكوسيت من صاحب الى عدو

والليكوسيت (حويصلات الدم البيضاء) هي الاحياء التي تؤذي للجسم وظهفة الجيش للملكة . فاذا دخل مكروب في الجسم اجتمعت حوله فتعمل على قتله او طرده او اكله . واذا حدث جرح اجتمعت حوله وضمت اطراف الجلد ووقفت كحارس امين تمنع دخول المكروب فيه . فهذه الاحياء على فائدتها للجسم في دور الشباب تنقلب الى عدو ألد في دور الشيخوخة . وذلك لان السموم التي تطرحها مكروبات القولون في الجسم لا تؤثر في الليكوسيت ولو اضعفت باقي اعضاء الجسم . فاذا قل الغذاء في الدم بسبب هذه السموم انقلبت الليكوسيت واكلت الاعضاء فتبتدي باكل صبغة الشعر والاعصاب وهذا سبب الشيب والخرف في الشيخوخة . فاذا تراكم السم هبطت الدورة الدموية وتصلبت الشرايين وخمد الجسم الى ان يموت

٤ كيف نصحيح الطبيعة ؟

اذا لم يمكننا قطع القولون يجب ان نهدي الى طريقة تمنع بها التعفن فيه . فالغذاء الباقي مثلاً اقل استعداداً للتعفن من اللحم ولكنه اصعب هضماً منه . كذلك لو أحسن مضغ الطعام قل الباقي النازل الى القولون وبالتالي قل التعفن . واتباع فلششر في اميركا الذين يجيدون مضغ الطعام الى ان يصير سائلاً تماماً لا يفرغون امعاءهم الا مرة كل اسبوع او عشرة ايام . ولكن هذه الطريقة تضعف المعدة وترخي اعصابها لقلة العمل . كذلك غسل القولون بالماء او غيره يضعفه ويوقف قابليته للانقباض

اما الدواء الذي يصفه متشنيكوف ضد الشيخوخة فهو دواء شرقي عثر عليه وهو في البلقان ويسمى هناك باليغورت وتسميه في مصر بالبن الرائب او الزبادي . فان هذا اللبن يحوي كثيراً من البكتيريا التي تقاوم مكروبات التعفن ولا تضر بالجسم . فاذا وصلت الى القولون استوطنت هناك وحاربت المكروبات المضرة فقللت اضرارها . واذا واظب الانسان على اخذها في كل اكله و اضاف الى ذلك الاحتراس من الامراض وعدم الافراط في الحياة تأخر الاجل من السبعين الى المائة او المائة والعشرين هذا مع التمتع بشيخوخة خالية من عيوبها المعروفة

لندن

سلامه موسى

الذئاب ولا الناس

نضرب المثل بغدر الذئاب وشراستها وبأنها لا يأمن بعضها بعضاً وتقول انها تسير في غدواتها وروحاتها صفاً واحداً كثفاً لكثف لثلاً يغدر متأخرها بمقدمها . ونسبه بها اشرار الناس والغادرين والذين يأكل بعضهم بعضاً وفي ذلك يقول احد الشعراء

وكن كذئب السوء لما رأى دماً لصاحبه يوماً حال على الدم

اشارة الى ما يقوله الجمهور من غدر الذئاب وقد اشار اليه الامام الدميري حيث قال والذئب اذا كدّه الجوع فتجتمع له الذئاب ويقف بعضها الى بعض فمن ولي منها وثب اليه الباقيون واكلوه . واذا عرض للانسان وخاف العجز منه عوى عواء استغاثة فسمعته الذئاب فتقبل على الانسان اقبالاً واحداً وهم سواء في الحرص على اكله فان ادمى الانسان واحداً منها وثب الباقيون على المدمى فزقوه وتركوا الانسان . وقال الاخر

ليت شعري كيف الخلاص من الناس وقد اصبحوا ذئاب اعنداء

وقالوا اغدر من ذئب واخئل واخبث واخون واعتي واظلم واجراً وانشط واوقع واجسر وايقظ واعق واجوع والام من ذئب . وقالوا من استرعى الذئب فقد ظلم . ولكن الذين بحثوا في طبائع الحيوان ورأوا الذئاب في مسارحها وراقبوها في غدواتها وروحاتها يقولون ان تشبيه الاشرار بها ظلم لها وحط من قدرها ولو سمعت لها محاكم القضاء لحكمت على المشبه بالقذف وعاقبته عقاب القاذفين فان الذئاب لا تحنكر الطعام كما يفعل محنكرو الخنطة حتى يغتنوا بغلائها ولومات الفقراء جوعاً ولا يقوم اقوياءؤها على ضعفائها فيقتلنهم قتلاً كبيراً وصغاراً ذكوراً واناثاً اطاعة لامر حاكم ظالم وسلطان مستبد كما فعل العثمانيون بعضهم ببعض

هل حدث بين الذئاب او بين كل وحوش الغاب ما حدث في مذابح سورية او مذابح ارمنية تؤتى المرأة بزوجها فيذبح على ركبته ثم تؤتى باولادها فيذبحون امامها الواحد بعد الآخر ويؤخذ طفلها من يدها ويشطر شطرين

هل رأت الذئاب في فلواتها ذئباً شديداً الدهاء واسع الحيلة يخدعها ويحنكر طعامها لكي يميته جوعاً ويعيش هو بلا تعب ولا نصب . كتب بعضهم في جريدة الاستقلال الاميركية يقول درست طبائع الذئاب في الاصقاع الشمالية سنين كثيرة فلم ار فيها ما يميز لانا ان تشبه

بها الاشرار الذين يظلم بعضهم بعضاً ويهضم بعضهم حقوق البعض الآخر. فالذئاب لا يقتل بعضها بعضاً ولا يسرق بعضها من بعض ولا يجنّس بعضها ما لغيره ولا تحنكر الطعام وتمنع غيرها من مشاركتها فيه. واذا اقترب ذئب غزالاً وسوّلت له نفسه ان يحنكره ويمنع غيره من مشاركته فيه وثب عليه جاره واخذ بخنقه كأنه يقول له لا احنكر في الطعام فهو قوام الحياة والحقوق فيه طبيعية متساوية. يفعل ذلك من غير تدمير ولا انذار لعله ان الاقوال لا تفني عن الافعال متى كان في الامر موت وحياة

ويظهر من بحث هذا الكاتب ويبحث غيره ان الذئاب لا تتناظر بل تشارك وتتعاون والاشترائية عندها افضل من الاشتراكية التي ينادي بها علماء الاجتماع الانساني لانها مبنية على الحقوق الطبيعية المحضة وقد ترقت وتخصت بناموس بقاء الاصلح من غير تعمّل ولا تصنع ترى في كتب القصص وما كتب في طبائع الحيوان ان الذئاب تسير في آجال وقائدها اكبرها جرماً واشدها بطشاً وانه نال السيادة بقوة ساعديه وناييه بعد ان قهر الخصوم وجرحها المنون حتى لم يبق له منازع ولا مزاحم. ولكن الامر ليس كذلك بل الزعامة في آجال الذئاب لام الصغار وزوجها يعينها باقتراس الفرائس لاولادها. والغالب بين ذئاب البلدان الشمالية ان يكون في كل اجل من آجالها خمسة الى اثني عشر ذئباً والمقام الاول فيه للام فهي ترشده في روحاته وغدواته وافراده لا تعصي لها امرأ مشيئتها شريفة هن لا تنقض كشرية مادي وفارس وهي تسير في صدر الاجل ويتبعها اصغر اولادها سنّاً لانهن الى ارشادها احوج والاّ وقعن في المهالك فاكن ما لا يصلح هن من الطعام ولو كان سما زعائاً ودخلن في كل مأزق يعسر عليهن الخروج منه وسعين باقدامهن الى الفخاخ والشباك. ويثلو هولاء اولاد السنة السابقة لانهن يكنّ اقل من اخواتهن حاجة الى العناية والارشاد

واذا مرض ذئب او جرح لم تثب عليه الذئاب لتفترسه كما يفعل الناس باخوتهم المستضعفين بل اجتمعت حوله ورثت لبواه

فاغضى واغضت واتسى واتست به مراميل عزائها وعزته مرمل

على ما قاله الشنفرى شاعر العرب الذي كان يعرف من طباع الذئاب اكثر مما عرف منها القزويني والدميري لانه راها مرأى العين ودرس افعالها واطوارها. وتحاول اولاً ان تعرف ما هو مصاب الجريح او المريض وما شكواه اما هو فيرى ان الشكوى لا تجد فيه غير التآسي فيخرج من بينها ويمضي لطيبته حتى اذا اشتد به الالم رفع رأسه وعوى فتجيبه عاوية مثله لكنه يرى ان عواءها لا يجدي فيبقى سائراً الى ان يجد كهفاً يلجأ اليه ويجلس فيه يلحس جرحه

كأنه يعلم ان الراحة خير دواء طبيعي واللعب من احسن علاج ليكروبات الفساد وكأنها هي تعلم ذلك ايضا فلا تتبعه لتزعجه وتقلقه بل تمضي لشأنها تفش عن طعامها وطعامه فيعلم هو اين سارت وكلما جاع اقتفى اثرها واكل من الصيد الذي اصطادته لها وله
 واذا التقى ذئبان اشد بهما الجوع لم يهجم احدهما على الآخر ويأخذ بخنقه بل تعارفا تعارف الاصدقاء او المعارف وسارا معاً في طلب الصيد فاذا كان الطريق واسعاً سارا جنباً لجنب واذا كان ضيقاً او كانت الارض مغطاة بالثلج سار احدهما امام الآخر وقد يخفي احدهما في كمين ويسير الآخر وراء الصيد ويلجئه الى الوقوع في الكمين حيث رفيقه فيقبض عليه ويكون للآخرين معاً للساعي والقاعد ولو كان الاثنان من سربين مختلفين

وهذا شأن الذئاب اذا طاردت ظلياً من الظباء السريعة العدو التي لا يلحقها حيوان مها كان سريعاً فانها تنقسم وتكن له في اماكن مختلفة وتطارده منابذة وتبقيه في البقعة التي هي فيها وكلما حاول الخروج منها نهض ذئب من كمينه وردّه اليها الى ان يعييه التعب ويقع فريسة لها فتغتمه جزاء تعبها ولا تحتصم في ما بينها وقت اقتسام لحمه ولا يظلم احدهما الآخر بل تأكل كلها منه على السواء كأنها ابناء عائلة واحدة تفعل ذلك لا عن فكر وروية ولا جرياً على قانون سنته لنفسها او اقتبسته من غيرها كما اقتبسنا قوانين نبوليون ناسبت حالنا او لم تناسبه بل تفعله منقاداً لقانون الطبيعة قانون الاشتراك والتعاون

فقولهم في الامثال هو لاء مثل الذئاب يأكل بعضهم بعضاً قول بعيد عن محبة الصواب يحق للذئاب ان تلوم قائله وتقيم الحجة عليه . ولو جرى الناس على ناموس الطبيعة وتعاونوا وتناصروا لانتفى من بينهم هذا التنازع المغيب والمرايت فيهم قوماً يقومون على اخوانهم ويذبحونهم ذبح الاغنام لا ليسدوا جوعاً ولا ليثأروا دماً ولا ليدفعوا عن عرض بل ليطيعها امر خاكم ظالم وينهبوا بضاعة وامتنعة او ليتزلفوا الى الله بقتل المخالفين لهم في الدين

« وما ذئبان جائعان أرسلوا في زريبة غنم بافسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينه » كما روى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن . فان كان الحرص على المال والشرف يفسد الدين فكيف بالحرص على طاعة اوامر الظالمين وكيف يدعي قوم انه من الدين او في سبيل الدين

ان الذئب لأرأف بالذئب من الانسان باخيه الا من اصلح النشوء من الناس

ثروة الانكليز

مهما كانت مزايا الشعب الانكليزي من حيث حبه لوطنه وعكف ابنائه على العمل ونبوغ كبار الساسة منهم الذين قهروا الممالك بدهائهم فلا شبهة ان مزيته الكبرى ثروته الطائلة . وهو معروف بها في اوربا لا ينكرها عليه احد وقد جمع هذه الثروة الطائلة بجده وكده ناستخرج المعادن من جوف الارض وصنع منها الآلات والادوات واتجر بها وجلب المواد الاصلية من البلدان القاصية وضمن منها المصنوعات واتجر بها واستولى على بلدان واسعة في اسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر وقاسم سكانها خيراتها فاجتمعت لديه موارد الثروة . ولقد كان ايراد الحكومة الانكليزية يبلغ اربعين او خمسين مليوناً من الجنيهات في اواخر القرن الثامن عشر حين كان ايراد الدولة العثمانية اقل من خمسة ملايين من الجنيهات مع ان بلادها اوسع من البلاد الانكليزية واغنى ولكن حكومتها ومالياتها كانتا دائماً مختلفتين مختلفتين لانها كانت تعطي الولايات بالالتزام للولاة فيبتزون كل ما يستطيعون ابتزازه من الاموال ولا يعطونها الا النزر منه يحلبون الرعية ويميزون صوفها ولا يعتنون بها ولا يهتمون بتوفير ثروتها

قد ر السروليم بقي ثروة انكلترا سنة ١٦٦٤ بمئتين وخمسين مليوناً من الجنيهات كما يأتي

ثمن الارض الزراعية ومساحتها ٢٤ مليون فدان	١٤٤٠٠٠٠٠٠٠ جنية
ثمن المباني	٠٣٠٠٠٠٠٠٠٠
ثمن السفن التجارية	٠٠٣٠٠٠٠٠٠٠
ثمن الجنائن والمواشي ومصايد الاسماك	٠٣٦٠٠٠٠٠٠٠
النقود الموجودة في البلاد	٠٠٦٠٠٠٠٠٠٠
ثمن الاثاث والبضائع	٠٣١٠٠٠٠٠٠٠
والجملة	٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠

اي نحو نصف ثروة القطر المصري الآن وكان عدد سكان انكلترا حينئذ اقل من خمسة ملايين من النفوس . لكن النقود كانت عزيزة في ذلك الوقت والاسعار رخيصة فما كان يساوي حينئذ خمسة جنيهاً يساوي الآن عشرين جنيهاً ولو لم يتغير بوجه من الوجوه ولذلك فثروة البلاد كانت تساوي حينئذ الف مليون جنية اي مضاعف ثروة القطر المصري وفي اواخر القرن الثامن عشر قدرت ثروة انكلترا بنحو ١٣٦٤ مليون جنية كما يأتي

٩٩٠٠٠٠٠٠٠٠ جنية	قيمة الارض الزراعية
١٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠	قيمة المباني
١٠٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	قيمة المواشي من كل الانواع
١٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	السفن الحربية والتجارية
٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	النقود التي في البلاد
٣٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	بضائع التجار والصناع
٢٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الاثاث واللباس
١٣٦٤٠٠٠٠٠٠٠٠	والجملة
١٣٠ مليون جنية هكذا	وقدّر السرجون سنكركر دخل انكلترا السنوي حينئذ بنحو
٣٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنية	ايجار الاطيان
٨٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ايجار البيوت
٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ربح المزارعين
١٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل عمال الزراعة
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ربح المناجم والملاحة الداخلية
١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ربح الملاحة الخارجية
١٥٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الربح من تربية المواشي
٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	الربح من الدين والرهن
١١٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ربح التجارة الخارجية
١٤١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	ربح الصناعة
٤٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل البحارة من سفن التجار
٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل خدمة الدين
١٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل القضاة ونحوهم
٦٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل معلمي المدارس
٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل التجارة الداخلية في البيع والشراء
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل الخدم
٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠	دخل مختلف
١٣٠٥٧٠٠٠٠٠٠٠٠	والجملة

وهذا يقرب من الدخل الذي حسبه الوزير لما فرض ضريبة الايراد على البلاد اي ان ثروة انكلترا كانت تقدّر بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه في اواخر القرن الثامن عشر ودخلها السنوي بنحو ١٣٠ مليون جنيه . ولا يخفى ان ثروتها قدّرت في اواخر القرن التاسع عشر بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه ودخلها السنوي بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه ومن ذلك الدخل الذي يدفع اصحابه ضريبة الايراد وهو ٦٠٠ مليون جنيه . وليس العبرة بثروة البلاد الداخلية ودخلها منها بل العبرة بما تكسبه من الخارج فاذا قدرت املكها في بلادها بالف مليون جنيه او بخمسة آلاف مليون جنيه فهي واحدة لا تتغير وكذا اذا كان ريعها يساوي مئة مليون جنيه او الف مليون جنيه ولكن العبرة بما تكسبه من الخارج بصناعاتها وتجارتها واموالها المشغلة في البلدان الاجنبية

وقد حسب محرر مجلة الاحصاء الانكليزية الآن ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون جنيه مشغلة في غير انكلترا ريعها السنوي ٤٠ مليون جنيه فهم يكسبون في السنة من اموالهم التي استدانها منهم حكومة الهند وحكومات المستعمرات وسائر الحكومات ٣١ مليون جنيه ومن اموالهم الداخلة في انشاء سكك الحديد ونحوها في البلدان الاجنبية ٥١ مليون جنيه وبقية الربح من اموالهم المشغلة في الشركات الاجنبية التي انشأوها باموالهم واشتركوا فيها كشركات تقطير المسكرات وشركات المياه وشركات الاراضي وما اشبه ٥٨ مليون جنيه والمجمل ٤٠ مليون جنيه كما تقدّم فان كانت اموالهم تدرّ عليهم هذا المبلغ الطائل من المال فهم في غنى حتى عن العمل . هذا عدا المكاسب الوفيرة التي يكسبونها من مصنوعاتهم وتجارتهم ولذلك قدّر علماء الاحصاء المالي انه يتوفر لدى الانكليز الآن مئة مليون جنيه كل سنة اي ان دخلهم السنوي يزيد على نفقاتهم مئة مليون جنيه فلا عجب اذا غارت منهم ممالك اوربا وحاولت السير في خطتهم لاقتسام هذا الربح معهم او لاكتساب مثله

ورب قائل يقول ان كان الانكليز يربحون مئة مليون جنيه كل سنة فوق ما يقوم بنفقاتهم كلها فمن يربحونها والى اين تفضي هذه الحال . والجواب انهم يربحونها من الام التي انتفعت باموالهم فان كانوا قد انفقوا مليون جنيه على سكة حديدية في بلاد غير بلادهم مثل البلاد المصرية فربحهم خمسة في المئة على الاموال التي دفعوها انما هو جزء صغير من الربح الذي نالته البلاد من تلك السكة لانها سهّلت النقل وقلّلت نفقاته وحملت الناس على احياء الارض الموات التي كان احيائها متعذراً بعدها . اي قلّت ما يثلف من قوة الناس والبهائم في النقل وزادت ما ينتج من خيرات الارض . وقس على ذلك سائر الاعمال العمومية التي تعمل

بالمال فان ربحها للنتفعين بها يزيد على الربا القانوني الذي يعطى لاصحاب المال
وقد رسخ في الازهان ان الانكليز غنوا اموالهم غنية من البلدان التي فتحوها في اميركا
والهند . ولكن يظهر الآن من مزاحمة الالمانيين والبلجيكيين لهم في الصناعة والتجارة ان الكسب
لا يأتي من سواقي الغنائم الحربية بل من قطرات الصناعة والتجارة والزراعة من الغرش الذي
يربجه الصانع والتاجر بكل ساعة يبيعها ومن البارة التي يربحها الزارع من كل بيضة تصدر من
بلاده . هذه بلجيكا وعدد سكانها نحو سبعة ملايين نفس فقط تصدر كل سنة من الحاصلات
والمصنوعات ما ثمنه مئتا مليون جنيه نحو نصفها يمر بالبلاد مروراً والنصف الآخر من حاصلاتها
الزراعية والمعدنية ومصنوعاتها الزراعية والمعدنية فتصدر من معادن الحديد والفحم والتوتيا
والنحاس والرصاص ما ثمنه ٢٤ مليون جنيه ومن الصوف والكتان والحنطة والسكر والجلود
والخيل ما ثمنه ٣٣ مليون جنيه ومن المغزولات والمنسوجات والادوية والزجاج والاصباغ
والآلات والادوات ما ثمنه ١٦ مليون جنيه . فليست انكلترا منفردة في ثروتها ولا الثروة
متوقفة على اتساع المستعمرات ولكن اساسها الثابت انتظام ادارة البلاد وعلم سكانها واجتهادهم
وليس الغرض من كتابة هذه السطور مجرد العلم بثروة الانكليز او غيرهم من الامم ولا الخش
على اقتفاء خطواتهم في كل شيء لان توزيع الثروة عندهم غير حسن فقد ابعد ما بين اغنيائهم
وفقرائهم فالفقراء يضورون جوعاً تمضي ايام واشهر لا يجدون عملاً يعملون به ولا يندران
يموت بعضهم جوعاً او ينتحر يأساً والاغنياء لا يعلمون ما يعملون باموالهم فيعيشون عيشة الترف
ينتقلون من قصر الى قصر وقد جمعوا في قصورهم من التحف ما لا يأخذه الوصف ولا يقوّم
بثمن . وانما غرضنا من المقابلة بين فقرنا وغنى غيرنا تجنّب الغرور وحث الدين في يدهم شؤون
البلاد على بذل الجهد في اصلاح ادارتها واستثمار خيراتها وحث الاهلين على الاجتهاد
والاقتصاد لا يفاء ما علينا من الديون لاوروبا اولاً ولذخر الاموال لايام الشدة ثانياً فالف
الحكومتين العثمانية والمصرية مديونتان لاوروبا بنحو ٢٥٠ مليوناً من الجنيهات وشعبهما مديونان
بنحو مئة مليون ولا بدّ من ايفاء الدين والا فحاجب كبير من الدخل يذهب رباً له ويستحيل
علينا ان نرفع رؤوسنا بين الامم وعلى عوائقنا اثقال الديون . نعم ان جنودنا اشداء وقوادنا
بواسل ولكن الحروب لا تدار بلا مال والعزة والمنعة لا تأتيان بثقال الاقوال . ولا منجاة لنا
الا اذا قام اولياء الامور بما يطلب منهم من اصلاح وعكف الناس كلهم على الاجتهاد
والاقتصاد حتى توفي البلاد ديونها وتوفر الاموال في خزائنها .

مالية الدولة العثمانية

المال قوام الاعمال ولا تقوم مملكة دخلها اقل من نفقاتها . ويجب ان يقدم اصلاح مالية الدولة على كل فرع من فروع الحكومة الا ما لزم منها لاصلاح المالية مباشرة كالامن العام والاعمال العمومية التي منها نفع مالي اما ما سوى ذلك من الفروع التي تقتضي ترقية زيادة في النفقات من غير زيادة في الدخل كتكثير الجنود وانشاء الاساطيل وبناء الملاحف فيجبري فيها بالتأني على ما تسمح به الحالة المالية

ويراد باصلاح مالية الحكومة تكثير موارد دخلها بتكثير دخل الرعية . وتقليل نفقاتها بالاقتصاد فيها . لا تكثير دخلها بسلب اموال الرعية او ابتزاز جانب كبير منها ولا تقليل نفقاتها بترك ما لا بد منه لقيام اعمالها

ولقد كانت كتب التقويم الافرنجية تقدر دخل الحكومة العثمانية السنوي بنحو سبعة عشر مليوناً من الليرات العثمانية وتقدر نفقاتها بما يقارب ذلك فحمل قلة الايراد على ما كان شائعاً من اخلاص الاموال التي تحصل من الاهالي . اما وقد قدرت الايرادات في الميزانية الجديدة باكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الليرات والمصروفات بتسعة وعشرين مليوناً فلم تبقى شبهة في ان الايرادات كانت اكثر مما يذكر في كتب التقويم ولو لم تصل كلها الى الخزينة . ومن رأي وزير المالية العثمانية الحالي ان تقدير الايرادات بخمسة وعشرين مليوناً معتدل جداً ويرجح انها ستزيد على ذلك ولا تنقص عنه

ويظهر لنا انه اذا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية خمسة وعشرين مليوناً من الليرات والبلاد خارجة من حالة الخراب فلا يبعد ان تبلغ مضاعف ذلك بعد سنوات قليلة فقد قال وزير المالية ان موارد الايراد العثمانية التي استولى عليها الاوربيون مثل الملح والحرير والتبغ زادت ضعفاً او ضعفين بحسن ادارتهم كما سيجي . فلا عجب اذا تضاعفت بقية الموارد اذا احسنت ادارتها او اذا اُصلحت حال البلاد والعباد . فان ايرادات الدول الكبرى من الجنيهاً اكثر من مضاعف عدد سكانها من النفوس كما ترى في هذا الجدول

المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصرفاتها
روسيا	١٥٠ مليون نفس	٢٦٢ مليون جنيه	٢٧٢ مليون جنيه
فرنسا	٠٣٩	١٥٨	١٥٨
بريطانيا	٠٤٤	١٥٦	١٥٢

النمسا	٠٤٧ مليون نفس	١٤٧ مليون جنيه	١٤٧ مليون جنيه
المانيا	٠٦٢ "	١٣٨ "	١٣٨ "
ايطاليا	٠٣٤ "	٠٨٦ "	٠٨٤ "

وواضح من ذلك ان كل نفس في فرنسا يدفع اربعة جنيهات في السنة من نفقات الحكومة . وكل نفس في انكلترا يدفع ما يقرب من ذلك وكل نفس في النمسا يدفع اكثر من ثلاثة جنيهات وكل نفس في المانيا وايطاليا يدفع اكثر من جنيهين وكل نفس في روسيا يدفع نحو جنيهين . والبلاد العثمانية ليست اقل خيرات من روسيا وايطاليا والنمسا ولا سكانها اضعف همه من سكان سيبيريا وكلايريا فاذا اصطلحت حكومتهم فاستثمروا خيرات بلادهم لم يتعذر عليهم ان يدفعوا ما يدفعه الروسيون والايطاليون لحكومتهم

واذا غرضنا الطرف عن هذه الممالك الكبيرة والتفتنا الى الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا مثل رومانيا واليونان والسرب والبلغار رأينا انه يخص النفس منها من نفقات الحكومة نحو جنيهين الى جنيه وربع حسب طول الزمن الذي مر على انفصالها عنا

اسم المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصرفاتها
رومانيا	٧ ملايين نفس	١٢ مليون جنيه	١٢ مليون جنيه
اليونان	٣ "	٥ ملايين جنيه	٥ ملايين جنيه
السرب	٣ "	٤ "	٤ "
البلغار	٤ "	٥ "	٥ "

فاذا لم نخذ الا حدودها في اصلاح ادارتنا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية من رعاياها وهم نحو ثلاثين مليوناً من النفوس لا اقل من ٣٧ مليوناً من الجنيهات

وغني عن البيان ان ايرادات الحكومة اي المال الذي نتقاضاه من رعاياها اكثره اجور لرجالها اي اجور الرجال الذين يحفظون الامن والرجال الذين يقضون بين الناس والرجال الذين يعملون سائر الاعمال العمومية التي تقوم الحكومة بعملها كنقل البريد والتلغراف . فهي اجرة عمل يعمل للرعية فعلى كل واحد منها او من سكان البلاد ان يدفع قسطه من نفقات الحكومة . هذا هو الاساس الاول الذي تبنى عليه جباية الاموال الاميرية على انواعها

ثم ان الناس متساوون في اشخاصهم ولكنهم غير متساوين في ما يملكون فالحكومة تثعب في المحافظة على حياة زيد كما تثعب في المحافظة على حياة عمرو بوجه عام فتستحق منها اجراً واحداً ولكن اذا كان زيد يملك ضياءً واسعاً ورعيها الف جنيه في السنة وعمرو يملك ارضاً ضيقة

مدى الثلاثين سنة الاخيرة رأينا ان ايرادات الحكومة لم تزد شيئاً في حين نرى بسرور مزوج بامتصاص زيادة دخل ادارة الديون العمومية زيادة عظيمة فهذا رسم التبعة زاد ٢٠ في المئة والملح مئة في المئة والحرير ٢٠٠ في المئة

فهذا النجاح الذي اصابته الادارات الاجنبية يدل على تأخر حالتنا ولكن لا يمكن القاء تبعه ذلك علينا لانه ارث اورثناه الحكم الماضي وبفضل الدستور ستمتو الزراعة الوطنية نماء عظيماً . ثم انه توجد ايرادات يجب انقاصها ونفقات يقتضي زيادتها وسترون في السنة القادمة تحقيق هذه الامنية إذ تنقص الضرائب مع ضمان زيادة الدخل . فستقبلنا هو في حسن استغلال اراضينا ولنا الامل انه بمساعدة الحكومة ومسعاي النواب حين عودتهم الى بلادهم يقدم المليون على تأليف الشركات المالية لاستثمار الاراضي . واذا دقق النظر في الميزانية ظهر ان ٤ الى ٥ ملايين من دخل الحكومة ليست ناتجة عن ضرائب وان ١٠ الى ١٢ مليوناً من العشرين مليوناً الباقية يؤدها المزارعون

ثم انتقل الخطيب الى الكلام على كل نوع من الايرادات على حدة فقال :

ويركو الاملاك — تعلمون ان تخمين الاملاك الذي جرى منذ ٣٠ سنة لم يكن عادلاً فروعى الاغنياء وجير على الفقراء فان الذين يملكون ما يساوي مئة الف ليرة خمنت املاكهم باربعة آلاف فقط ولا يمكن اصلاح هذا التخمين في مدى شهرين في بلاد واسعة كبلادنا ويصعب ابدال المأمورين في يوم واحد ولكن لا بد من بداية لكل شيء . فعلى ناظر المالية ان يشرع في ذلك دون ان تهوله نفقات العمل . واني اعرف في سالنيك صاحب بنك رأس ماله ١٢ مليوناً وهو لا يدفع سوى ٢٥ ليرة

ضريبة التمتع — ان الاجانب لا يدفعون ضريبة التمتع ولما كانوا يلاقون في هذه البلاد ترحاباً ورعاية فيجب عليهم ان يشاركوا الوطنيين في دفع الضرائب . وانا واثق بانهم لا يبخلون على الحكومة الدستورية بما كانوا يأبون اداءه الى الحكومة السابقة . ولي الامل ان توافق الدول على تحصيل الضرائب من تبعتها القاطنة في المملكة العثمانية اذا سئلت ذلك . فهل اهتمت الحكومة بهذا الامر؟ ان مجلس النواب لا يعلم شيئاً من ذلك لان الوزارة لا تطلع على المفاوضات هذا وان بعض المحلات الاجنبية في الاستانة يربح ٢٠ الف ليرة في السنة ولا يدفع سوى ثمن تذكرة « الاصناف » في حين ان الفلاح في الولايات يدفع اضعاف هذا المبلغ

البدل العسكري — اننا تجاه موقفين فالمسيحيون يطلبون ان ينتظموا في الجندية ويبدلوا دماءهم في سبيل الوطن ولا يمكن رد طلبهم . والحكومة تحشى خسارة دخل سنوي من البدل

العسكري قدره مليون و ٦٤٥ الف ليرة فارتأت اللجنة وضع طريقة توفق بين الفريقين ويستفاد من لوائج نظارة الحربية الاحصائية ان ١٢ في المئة من المبلغ المذكور آنفاً يستوفي من المسلمين الواقعة عليهم القرعة العسكرية فيبقى مبلغ مليون و ٢٠٠ الف ليرة يدفعه غير المسلمين فكيف السبيل لسد هذا النقص؟ فأرى ان يعمل بالطريقة التي يعامل بها المسلمون وفي علمكم ان الطوائف توزع هذا البدل بطرائق مختلفة فتفرض على كل فرد اداء هذا البدل منذ صغره فلو استدعينا اليوم المسيحيين لحمل السلاح لحق لهم ان يطالبونا بارجاع البدل الذي دفعوه حتى الآن ويجب ان لا يبقى سكان العاصمة معفيين من الخدمة العسكرية وهم متمتعون بعدة امتيازات وفيهم كثيرون من الاغنياء فاذا استوفي البدل من الذين تصيبهم القرعة العسكرية ولا يريدون الخدمة اجتمع لدينا مبلغ ٤٠٠ الف ليرة

رسم الحبوب — هو رسم جائز يعادل ١٢ ونصف في المئة من المحصول وليس في الطاقة لسوء الحظ الغاوؤه لان هذا الرسم يستوفي منذ ٦٠٠ سنة ولا يمانع المزارعون بدفعه على اننا سنجتهد في انقاصه في السنة المقبلة ٢ ونصف في المئة

المعادن — ان الاجانب يؤكدون ويجب تصديقهم ان ارض بلادنا غنية بالمعادن وقد أصابوا ربحاً في الاماكن التي عدنوها فيجب تسهيل المعاملات في منح الرخص وامتيازات تعدين المعادن ولا فائدة بدون ذلك

الجمارك — ان دخلها يبلغ ٤ ملايين ليرة وزيادة الرسم الجمركي من ٨ الى ١١ في المئة لم تنقص مقدار البضائع الواردة غير ان هذا الرسم لا يصيب التجار بل الاهالي نظراً لسوء تصرف مأموري الجمارك فقد تحقق المسيو كريفورد (مفتش الجمارك الانكليزي) ان المحمنين يخمنون بضائع قيمتها ١٠ ليرات بمئة قرش وذلك ناتج عن قلة راتب المأمور في الميزانية القادمة تزداد رواتب مأموري الجمر ك بغيره وضع حد لهذه الاختلاسات رسوم الجمر ك على الصادرات — يجب الغاوؤها لانها مناقضة لاصول علم الاقتصاد

رسوم الصحة — تستوفي هذه الرسوم في الولايات دون معرفة الحكومة وتستوفي من الاموات ففي بغداد لا يعطون اجازة لدفن الميت قبل دفع ٥٠ غرشاً ولما كانت فائض هذه الواردات لا يدفع خزينة الحكومة فيجب اصلاح هذا الخلل

شركة حصر التبغ — لقد وقع في السابق خلل عظيم في ادارتها انما تبعة ذلك واقعة على اهل الحكومة وتغاضيها وبعد اربع سنوات ينتهي اجل الامتياز فعلى الحكومة ان تدرس منذ الآن كيفية استلامها هذه الادارة ولما كان ليس في وسع الحكومة العثمانية ان تستلم

ربعمائة جنيه فقط فالعدل يقضي ان يدفع زيد من نفقات الحكومة عشرة اضعاف ما يدفعه عمرو من قبيل حفظ هذه الاملاك لان الحكومة تتعب في الاحتفاظ باملاك الاول عشرة اضعاف ما تتبعه في الاحتفاظ باملاك الثاني بوجه عام وقس على ذلك سائر الممتلكات

قال ادم سمث واضع علم الاقتصاد السياسي عند الانكليزان على كل احد ان يدفع للحكومة على نسبة دخله مقابل ما يتمتع به من حماية الحكومة . وهذه هي القاعدة الاولى من قواعد . وعندنا انها مانعة ولكنها غير جامعة لانه يجب على المرء ايضاً ان يدفع على املاكه التي لا ريع لها لاهماله استثمارها والا طمع بمشترى الاراضي وتركها بوراً الى ان تعمّر البلاد حوله وترتفع اسعارها بلا تعب ولا مشقة فيكسب من غير ان يشارك غيره في نفقات الحكومة

والقاعدة الثانية من قواعد ادم سمث ان الضريبة التي يدفعها كل انسان يجب ان تكون معلومة مقررة حتى يعرف ما عليه . والقاعدة الثالثة ان الضرائب تجي في اسهل الاوقات لجبايتها وعلى اسهل اسلوب يمكن جمعها به . والزابعة ان ينفق على جباية الضرائب اقل نفقة ممكنة . وهذه القاعدة تمنع الالتزام الذي جرت عليه الحكومة العثمانية فظلت رعاياها لكي يكتسب منهم الملتزمون

وموارد الميزانية العثمانية في تقدير وزير المالية ثمانية كما ترى في الجدول التالي

الاموال المقررة	١٣٣٥٣٩٢٩	ليرة عثمانية
الاموال غير المقررة	٠٤٥٤٧٧١٠	" "
البوسطة والتلغراف ونحوها	٠٣٠٣٢٠٢٧	" "
التمغة والتمتع	٠١٠٦٤١٤٦	" "
الاعمال العمومية	٠٠٣٢٥٨٠٥	" "
الاملاك الاميرية	٠٠٢٦٥٤٨١	" "
ويركوكو مصر	٠٠٨٧١٣١٦	" "
ايرادات متنوعة	٠١٦٠٨٥٤٨	" "

ولا بأس بادخال ويركوكو مصر وان كان يذهب كله ركباً لدين معلوم ولا تأخذ الحكومة العثمانية غرماً منه

ولقد عينت لجنة لفحص مواد الميزانية الجديدة فعدلتها واخترت جاويد بك مندوب سلاينيك (الذي صار ناظراً للمالية بعدئذ) ليرفع تقريرها الى مجلس المبعوثان فوقف في ٢٢ يونيو الماضي وتكلم عن الميزانية كلاماً وقع احسن وقع في النفوس وقد لخصناه هنا نقلاً عما

قرأناه في جريدة التمس وجريدة الارز اللبنانية قال : — ان هذا اليوم يستحق ان يخلد في التاريخ العثماني لان هذه هي اول مرة منذ ٦٠٠ سنة تسنى لمثلي الامة الموافقة على استيفاء الضرائب المفروضة على الاهالي وفحص الاثقال الملقاة على عاتق الامة واستعمال سلطتها المطلقة في الشؤون المالية . ان قوة البلاد الاقتصادية تسمو على كل قوة فالحكم الذي ألغى كان يتلاعب بهذه القوة فقسم الامة الى قسمين قسم يأخذ ولا يعطي وقسم يعطي ولا يأخذ وقومه ذلك الشعب المسكين . ولقد آن الوقت لابدال كل ذلك ان الشعب يطلب منا ارجاع حقوقه اليه وانهاض البلاد من وهدة الخراب والشقاء الى ذروة الرقي فيجب علينا ان نسمع شكواؤه منذ الآن محاولين معالجتها . واننا نجعل الافكار التي خلجت عقل الوزارة لما بسطت لدينا حالة وارداتنا وبينما كنا ننقد الارقام وندقق فيها كانت اصوات استغاثة الشعب تطن في اذاننا وكنا نسمعه يصرخ بنا قائلاً :

« في وقت الحرب نحن الذين نبيع نفوسنا اعلاء لشأن الوطن وتملاً جثثنا ساحات القتال وفي وقت السلم نستمر على تضيعة نفوسنا ونبقى متعرضين لعوامل الطبيعة للشمس المصهرة والبرد القارص لكي نقيت الامة ونضمن بقاءها وبينما نحن على وشك ان نجني ثمار اعبائنا ينتصب امامنا الجاني والضابطة »

غير انه يطرق آذاننا صوت آخر اشد وقعاً وهو نداء الكيان الوطني الذي يجب ضمانه ويمنعنا من ان نفعل كما نريد موجباً علينا ضمد جراح الامة من ثقل الضرائب تدريجياً وعلى الحكومة واجبان آخران احدهما يعود الى ناظر الداخلية الموكول اليه ضمان الراحة العمومية والاخر الى ناظر الاشغال العمومية فاذا اتم كلاهما واجبهما نشوف لدى الحكومة الاموال ويتبدل عجز الميزانية بزيادة قدرها ٤ الى ٥ ملايين ليرة اذ لا زراعة ولا استثمار بدون امن ولا رواج للمحصولات بدون طرق موصلات والآراء الفلاح فائض محصولات ارضه بائراً غير انه لا اهمية للعجز المالي اذا كانت الميزانية صادقة حاوية كل النفقات والواردات وهي مبنية على دخل الحكومة الحقيقي

ان بعض النظارات عارضت في توحيد الشؤون المالية قصد الاستقلال بانفاق الواردات على هواها كما في العهد المنتضي فهذا امر يتعذر قبوله ويدل على قلة ادراك بعض النظار لروح الدستور ولي الرجاء الوطيد ان ناظر المالية يشغلهم بواسطة مجلس النواب . فيجب ان يذكر في الميزانية حتى ثمن احقر مقعد من المقاعد والكراسي كما هو جارٍ في انكلترا حيث يذكرون في الميزانية ثمن فهارس المتاحف التي تباع للزوار . فاذا نظرنا الى مجموع الميزانية في

حصر هذا الصنف فيلزم ان تؤجره الى شركة خاصة بشروط اكثر موافقة . ان الرسوم المعروضة على اصدار التبغ الى مصر والبلقان يبلغ مقدارها ١٨٠ الف ليرة فيحول دون مزاحمة التبغ اليوناني في مصر وقد انقصت اللجنة الرسم الحالي الى نصفه فاذا زادت الكميات الصادرة تلغى هذه الرسوم تماماً

التبناك — ان حصر هذا الصنف قد انقص الكميات المستوردة الى ثلثها وقد كثر تهريبه مع الاسلحة فيجب الاتفاق مع الشركة صاحبة الامتياز بهذا الخصوص
البوسطة والتليفون — يجب ان يترك للحكومة ادارة شؤون البوسطة والتليفون لاسباب سياسية انما لا يوافق حصر ادارة التليفون بها لان لا علاقة لما بالراحة العمومية ولذا حذفت اللجنة ذكرها من الميزانية لثيقنها عدم اقتدار الحكومة على ضبط هذه الادارة وقد عجزت عنها الحكومة الفرنسية فيجب منح امتيازها لشركة خاصة
المسكوكات — يجب توحيد سعر المسكوكات وقد عهد الى لجنة مالية اختصاصية لثقطع بهذا الامر

سكة الحجاز — ان شؤنها مخنلة فعلى الحكومة ان تلزم استثمارها لشركة خاصة
معمل الغاز — يجب فصله عن الطوبخانة واعطاؤه لشركة خاصة
مناجم هر كله — يقتضي الاتفاق عليها مع الشركة الفرنسية صاحبة الامتياز
املاك الحكومة — يجب بيع كل هذه الاملاك الا الغابات
الديون — ان البنك العثماني مستعد للمساهلة وقد رضي باسقاط الفائدة التي يتناولها رسوم البحرية — ان الحكومة السابقة الفت رسوم الجمر على البضائع الداخلة برّاً وازافتها الى البضائع التي تدخل بجرّاً مما عرقل التجارة وحال دون مزاحمة المصنوعات الوطنية للمصنوعات الاجنبية فيجب الغاء هذا الرسم
واتم الخطيب كلامه معتذراً عن عدم تمكن اللجنة من وضع ميزانية احسن من هذه لعدم توفر الوقت وان ناظر المالية لم يتمكن من تقديم تفاصيل الميزانية نظراً لتأخر النظارات عن ارسال برنامج كل نظارة

فوقف ناظر المالية وقال انه يأمل تقديم الميزانية في اول تشرين الثاني وان اعادة الاحصاء والمساحة ستعودان باموال وافرة على الحكومة ويقدر ما يدخل من الاستانة بثلاثة الف ليرة اما التمتع فان اللجنة تنظر في تعديل نظامه والحكومة ساعية لدى السفارات على حملها على الموافقة على استيفاء هذا الرسم من الاجانب وهي مهتمة ايضاً بنظام التبعة

مقاومة الجسم للأمراض المعدية

ونقوية هذه المقاومة

تدخل الامراض المعدية كالكوليرا والطاعون والتيفوس والتيفويد مدينة أو قرية أو بيتاً فيعدى بها بعض الناس ولا يعدى البعض الآخر . ولا بد من شيء في الذين لا يعدون وقاهم من العدوى او من شيء في الذين يعدون عرّضهم للعدوى فما هو هذا الشيء وهل يمكن نقوية ما في الجسم من المقاومة للأمراض المعدية . هاتان مسألتان اجاب عنهما الدكتور سيمون فلكنسر بمقالة تليت في جامعة كولمبيا بنيويورك في شهر مارس الماضي ونشرت في مجلة العلم العام الاميركية ومما قاله فيها ان تجنب اسباب الامراض المعدية اي الميكروبات التي تسببها متعذر في غالب الاحيان لان بعض هذه الميكروبات موجود في كل مكان ميكروب السل وبعضها لا يخلو منه جسم الانسان نفسه كميكروب الصديد الموجود دائماً على جلده وميكروب ذات الرئة وميكروب الدفتيريا اللذين قلما يخلو منهما الانف والحنك . وفي غشاء الامعاء المخاطي ميكروبات متنوعة وكثير منها ضار وقد يكون بينها ميكروبات التيفويد والدسنتاريا والكوليرا ويبقى الجسم سليماً من شرها

ينشج من ذلك نتيجتان الاولى ان اجتناب الميكروبات المرضية والناس المصابين بها والاماكن الموجودة فيها ضرب من الحال . والثانية انه لا يصعب على الجسم ان يقي نفسه منها في غالب الاحيان والّا ما بقي حي على وجه البسيطة . وهذه الوقاية لا تقتصر على منع الميكروبات عن الوصول الى داخل الجسم وان كان هذا المنع يقي الجسم منها حتماً وله في الجسم وسائل خاصة به بل تقوم ايضاً بوصول الميكروبات الى الدم وابطال فعلها فيه

ومن الميكروبات المرضية ما لا يقيم في جسم الانسان ولكن عدواه شديدة جداً مثل الجدري والحصبة والقرمزية ومنها ما لا بد له من وسيط يقيم فيه قبلما يدخل جسم الانسان مثل الملاريا التي يقيم مكروبها في نوع من البعوض والحمى الصفراء التي يقيم مكروبها في نوع آخر منه والطاعون الذي يقيم مكروبه في الجرذان على ما يظن

والناس مختلفون كثيراً في استعداد ابدانهم للعدوى بالامراض المعدية ما عدا الجدري فانه كان يصيب كل الناس تقريباً قبل اكتشاف التطعيم
ثم ان ميكروبات الامراض المعدية لا تفعل بكل انواع الحيوان على حدّ سوى ولا بكل

افراد النوع الواحد على حدٍ سوى فئتها ما هو خاص ببعض الانواع ولا يفعل بغيره مطلقاً
او لا يفعل به الا قليلاً مع ان النوعين منقاربان . بل ان فعلها يختلف في افراد النوع الواحد
ولا يمكن ان نعلل العدوى والمناعة تعليلاً صحيحاً ما لم يفسر ذلك التعليل سبب بلوغ العدوى
الى بعض الانواع دون غيرها وسبب بلوغها الى بعض افراد النوع الواحد دون البعض الآخر .
وهذا التعليل لم يعرف حتى الآن اي لم يعرف السبب الحقيقي للعدوى والمناعة

وقد عرف منذ زمن طويل ان ميكروبات الامراض المعدية تصل احياناً الى الدم ولا
تسبب العدوى ثم اذا مات الحيوان وجد دمه خالياً من الميكروبات وكذلك اعضاءه الباطنة
وتبقى كذلك مدة طويلة بعد الموت الى ان يحلّ فيها الفساد . وهذا يدل على انها تقي نفسها
من الميكروبات مدة الحياة ووقتاً ما بعد الموت . ثم تثبت قوة الدم على مقاومة الميكروبات
بالامتحان وذلك بحقن الارانب بسوائل متعفنة في شرايينها فلم تصب بمكروه واستخرج جانب
من دمها بعد ذلك فلم يحلّ به الفساد . فلم تبقى شبهة في ان الدم يقي نفسه احياناً من
ميكروبات الفساد

والظاهر ان الجسم يتخلص من الميكروبات بطريقتين الواحدة بافرازها من الكليتين
والكبد والثانية بقتلها وهي فيه . وقد اثبت علم الميكروبات ان الدم وبعض سوائل الجسم
تقتل الميكروبات وهذه الخاصية تبقى في الدم والسوائل بعد خروجها من الجسم . فهنا قضية
محسوسة لا ريب فيها وهي ان الدم وسوائل باطن الجسم تقتل كثيراً من الميكروبات
ولكن يظهر ان قوة الدم على قتل الميكروبات محدودة وهي لا تفعل بكل الميكروبات على
حدٍ سوى . والميكروبات التي يسهل قتلها فيه ينجو بعضها احياناً فتتكاثر . وبعض
الميكروبات اقوى من غيرها على مقاومة فعل الدم والنجاة منه . ودماء الحيوانات ليست
مماثلة تماماً في فعلها بالميكروبات واذا اخرج الدم من جسم الحيوان فقوته على قتل الميكروبات
تزل منه بعد بضعة ايام وتزول منه حالاً اذا سخن الى درجة ٦٠ بميزان سنغراد

ويظهر لاول وهلة انه قد عرف سبيل العدوى والوقاية ولكن ليس الامر كذلك لان
فعل الدم لا يجري على وتيرة واحدة دائماً من حيث قتله الميكروبات ووقاية الجسم منها ولا
هو كاف لتعليل كل الامور المشاهدة في العدوى والوقاية ومع ذلك فقد عرف كيف يفتك
الدم بمكروبات الامراض فقد وجد فيه ترياق (Alexin) مركب من مادتين الواحدة تلصق
بالميكروبات وتأتي بها الى المادة الثانية فتميتها وهذه المادة الثانية تتولد من الليكوسيت اى
الحوصلات البيضاء التي في الدم وعلى مقدار هذه المادة تتوقف قوة الجسم على الفتك

بميكروبات الأمراض لكن مقدارها لا يبقى واحداً فتزيد تارةً وتنقص أخرى . والظاهر ان بعضها يفرز افرازاً من الليكوسيت وبعضها يتكون من انخلاله وهذا هو القسم الأكبر فان الليكوسيت يتم عمله ويحل على الدوام كما تحلل سائر دقائق الجسم الحي ومن انخلاله يتولد في الدم مادة تمت الميكروبات وتصل من الدم الى اللفا والتجاويف المصلية لكن هذه المادة سريعة الانحلال فلا بد من تولدها دائماً والآن قلت كثيراً

ثم ان بعض الحويصلات البيضاء التي في الدم يأكل الميكروبات وهو المسمى بالفاغوسيت اي آكل الحويصلات فله شأن كبير في وقاية الجسم من شرها والدم يبعث به الى كل عضو تهجم عليه الميكروبات فيفتسها افتراساً . وفعله في ذلك لا يقل عن فعل المادة المذكورة آنفاً . والظاهر ان وظيفة الفاغوسيت الاولى كانت تطهير الجسم من الفضلات التي تجمع فيه ثم جعل ينقي الجسم من الميكروبات ايضاً ففويت فيه هذه الصفة بالانتخاب الطبيعي ولكنه لا يستطيع ذلك ما لم تكتشف الميكروبات مادة غروية ليسهل عليه ابتلاعها

ثم ان عمل الميكروبات والمادة المميته لها والفاغوسيت الذي يأكلها لا يجري دائماً على وتيرة واحدة في كل الحيوانات فاذا حقنت ضفدع ميكروب التنوس (الكزاز) لم يصيبها التنوس وهي في حرارتها الطبيعية فاذا رفعت حرارتها قليلاً ظهر التنوس فيها . واذا حقنت دجاجة ميكروب الانتركس لم يصيبها ما دامت حرارتها عادية فاذا خفضت اصابتها . ومعلوم ان ما يقينا من الميكروبات لا يستطيع ان يقينا منها دائماً والآن لما اصابنا منها ضرر فما سبب ذلك

اولاً ان الميكروبات تختلف كثيراً في فعلها فبعضها لا يضر الا نادراً ونسب مقاومتها وبعضها قليل الضرر ولا تصعب مقاومتها ولكنه يصير في بعض الاحيان شديد الضرر حتى نتعذر مقاومتها ولا سيما متى جاء في صورة وافدة كما في الميكروب الذي يسبب الانفلونزا (النزلة الوافدة) والميكروب الذي يسبب ذات الرئة ولا يعلم سبب ذلك حتى الآن ومهما كان سبب فالميكروب يسبب حينئذ المرض الخاص به

ثم ان في الجسم قوة لتعديل السموم التي تفرزها الميكروبات وملاشاتها سواء كانت الميكروبات خارجية او داخلية . والظاهر ان اكثر فعل الميكروبات في الجسم يكون بواسطة السموم التي تفرزها لا بها نفسها فميكروب الدثيرة يمثلاً يتلف الغشاء المخاطي الذي يقع فيه ويكون سمماً ينتشر في البدن ويسمى وهلم جرا . وانواع الحيوان تختلف في مقدار تأثرها بفعل هذه السموم كما تختلف في مقدار تأثرها بفعل الميكروبات نفسها فذوات الدم البارد لا تتأثر من سموم بعض

الميكروبات التي تقيت ذوات الدم الحار ولكنها لا تجري كلها على نسق واحد دائماً فسم ميكروب التنتوس لا يؤثر في الضفدع ولا في التمساح من ذوات الدم البارد وإذا رفعنا حرارتهما معاً حينئذ فالضفدع تصاب بالتنتوس وأما التمساح فلا يصاب به . وسم ميكروب الدوسنطاريا إذا دخل دم الأرنب وصل منه إلى أمعائها وأضر بها ولكنه لا يصل من أمعائها إلى دمه . وإذا أدخل سم التنتوس إلى دم الدجاجة لم يفعل بها ولكنه إذا أدخل إلى دماغها فعل بها حلاً واحداً حدث فيها التنتوس وبقي السم في دم الدجاجة سليماً بضعة أسابيع فعدم فعله بها ليس ناتجاً عن أن دمه قتلته أو أتلفه بل عن سبب آخر ولعله عدم استطاعة السم على اختراق الأوعية الدموية والوصول إلى المراكز العصبية . وبعض الحيوانات تصاب بالتنتوس صيفاً ولكنها لا تصاب به شتاءً

ويستنتج من ذلك كله أنه توجد وسائل مختلفة لمنع سم الميكروبات من فعل الأعضاء التي تفعل بها عادة ومن هذه الوسائل مواد تبطل فعل السم ومواد تثلفه وهي موجودة عادة في الدم . وقد عرفت مادة من هذه المواد المضادة لفعل السم وهي المادة المضادة لفعل الدفتيريا التي توجد بمقادير طفيفة جداً في دم الناس ودم الخيل

والظاهر أن أفعال الميكروبات الضارة ناتجة عن أن سمها يكون أكثر مما في الجسم من الوسائل المضادة له أو أن الوسائل تكون أضعف من فعل السم . ويظهر أن الجسم أقدر غالباً على مقاومة الميكروبات نفسها منه على مقاومة السم الذي يتولد منها . فقد عجزنا عن مقاومة الأدوية الميكروبية لأننا لم نعرف طريقة لمقاومة هذه السموم ولكننا وجدنا تريباقاً لبعضها كسم الدفتيريا والتنتوس

وفي الجسم عادة ما يكفي من الوسائل لمقاومة فعل الميكروبات المرضية وسمومها فلا تغلب عليه إلا في أحوال غير عادية وهذه الأحوال غير معروفة تماماً لكثرة الفواعل التي تؤثر فيها فنعلم بالمشاهدة أن اللباس المناسب والطعام المناسب والاقامة في الأماكن الصحية والاعتناء بالجسم واجتناب الثعب المفرط والغم والهمل كل ذلك يحفظ الصحة وما يناقضه يعرض الجسم للمرض . ولكن يجب الفرق بين العلة والمعلول فإن الوسائل الصحية قد تمنع وصول الميكروبات المرضية إلى الجسم لأنها تقوي الجسم على مقاومتها . ويظهر من بعض التجارب أن بعض الأفعال يعدّ الجسم للأمراض المعدية فالحيوانات التي تَصُمُّ بالصوم أو تروّض بالرياضة شديدة أو تعطى مقادير كبيرة من الكحول أو تعرض للبرد الشديد يخلق شعرها تصير أكثر تعرضاً من غيرها لبعض الأمراض إذا وجد أن قوة المناعة التي في الدم تتغير بتغير الأحوال

كان ذلك دليلاً فعلياً على تأثيرها في وقاية الجسم وعدم وقايته
وقد شوهد ان الفاغوسيت اي حويصلات الدم التي تأكل ميكروبات الامراض نقل من
دم الانسان وقتما يصاب بمرض ثقيل ولا يعلم هل قتلها سبب لاشتداد المرض او ان اشتداد
المرض سبب قتلها . ولكن يعلم بالامتحان انه اذا ضعف الفاغوسيت اشتد فعل الميكروبات فاذا
حقن حيوان من خنازير الهند بمقدار غير قتال من ميكروب الكوليرا وأُعطِيَ قبل ذلك قليلاً
من الافيون فيكروب الكوليرا يفعل به ويميته مع ان هذا المقدار لا يميته عادة . وواضح ان
سبب ذلك هو ان الافيون خدر الفاغوسيت فلم يعد قادراً على اكل ميكروب الكوليرا . ويمكن
ان يزداد فعل الفاغوسيت ببعض الوسائل فيقوى على ميكروبات الامراض . ومن هذه الوسائل
الاغسال بالماء البارد والقيام في الشمس كمن يستحم بها وحقن الدم ببعض المواد الكيماوية
كالبيتون والاليوز والهامض النكليينك والسبرمين والبيلوكر بين *pepton, albumose,*
nucleinic acid, spermin, pilocarpine فانها تقوي فعل الدم على اهلاك الميكروبات
المرضية ولو وقتياً وقد يمكن مقاومة ميكروب المرض بعد ان يستقر في الجسم وتبتدى العدوى
اذا حقن خنزير الهند بميكروب الكوليرا في البريتون ظهرت فيه اعراضها حالاً ومات في
بضع ساعات ويوجد حينئذ ان ميكروب الكوليرا قد تكاثر فيه وتغلب على الليكوسيت وقل
عددها فلم تعد تستطيع مقاومته ولكن اذا حقن خنزير الهند بمذوب الملح قبل الحقن بميكروب
الكوليرا باربع وعشرين ساعة او بمادة كيماوية من المواد المذكورة آنفاً زاد عدد الليكوسيت في
الدم وتغلبت على ميكروبات الكوليرا

وفائدة الليكوسيت في مقاومة الامراض المعدية قبل ظهور العدوى اشد من فائدها في
الشفاء منها بعد حدوث العدوى على ما يرجح لان فعل الدم في مقاومة العدوى يمكن ان يزداد
بالوسائل الخارجية واما فعله في اتلاف سمها فلا يزداد لان الجسم يكون قد ضعف بفعل السم
فلا تؤثر فيه الوسائل الخارجية

وهنا امر آخر حري بالنظر وهو ان الجسم يشفى احياناً كثيرة من الامراض بعد ان
يصاب بها فهل الوسائل التي يستعملها للشفاء اي التغلب على الميكروبات وسمومها هي من نوع
الوسائل التي يستعملها لمقاومة الميكروبات وسمومها ولا تمتاز عنها الا في انها اقوى منها
يظهر من البحث في الدم من اليوم الرابع الى العاشر من ايام المرض وفي الطحال والنخاع
انه يتولد فيها مواد كيماوية تبطل فعل سم الميكروبات وهذه المواد الكيماوية يولدها ميكروب
المرض نفسه اي انه يعيش ويولد مادة كيماوية تميته اما بتكثير اداة المشار اليها آنفاً التي قلنا

انها تميت الميكروبات او بتقوية الفاغوسيت على قتل الميكروبات . وتزيد هذه المادة الكيماوية بتقديم المصاب نحو الشفاء حتى اذا شفي صار فيه من هذه المادة ما يكفي لوقاية غيره من ذلك المرض او لشفائه منه اذا اصيب به . هذه هي المناعة التي تحصل عادة من الاصابة بالامراض المعدية . فاذا أصيب واحد بالجذري مرة لم يعد يجدر مرة اخرى لان ميكروب الجذري يولد في جسمه ويبقى فيه مادة تمنع اصابته مرة اخرى وكذا من يصاب بالتيفويد لا يصاب به مرة اخرى لان التيفويد يولد في جسمه مادة تقيه من الاصابة به ثانية

ويمكن اظهار فعل المناعة وقت اشتداد الآفة مثال ذلك ان تطعم بقرة في جانب من جسمها من دم بقرة اخرى ماتت بالطاعون البقري المعروف باسم رندربست وتطعم في الجانب الآخر من دم بقرة اخرى أصيبت بهذا الطاعون وشفيت منه فالبقرة التي تطعم كذلك يظهر فيها الداء ولكنه يكون خفيفاً جداً وتشفى منه لان دم البقرة التي شفيت اكسبها بعض المناعة ولكن تكون العدوى في دمها شديدة قبل شفاؤها حتى اذا طعمت به بقرة اخرى سليمة أصيبت بالطاعون البقري وماتت به

واذا كانت العدوى حاصلة من سم الميكروبات وحده لا من السم والميكروبات معاً كما في الدفتيريا التي ينتشر سمها في البدن ويبقى ميكروبها غير منتشر فيه فالمادة التي يكتسبها الدم وقت الوقاية تكون بسيطة فعالة جداً وهي افعل ترياق للدفتيريا ولا يعلم كيف تفعل هذه المادة بالفاغوسيت حتى يصير اقدر مما كان على مقاومة سم الميكروبات

فهنا امران مستقلان الواحد المقاومة العمومية التي توجد في الجسم للميكروبات المرضية بنوع عام والثاني المناعة الخصوصية التي يكتسبها الجسم من دخول نوع من الميكروبات فيه لمقاومة ذلك النوع عينه اذا داخله ثانية . والمقاومة محدودة في فعلها وكثيراً ما تعجز عن وقاية الجسم الذي هي فيه . واما المناعة فيمكن تقويتها وهي تكفي لوقاية الجسم الذي تولدت فيه ولوقاية غيره ايضاً . فاذا قيل ما هي افضل طريقة لوقاية الحيوان من مرض معد اجبنا ان يعدى بذلك المرض ويشفى منه فلا يعود يعدى به كما هو الغالب

وهناك فرق آخر بين الوقاية والمناعة وهو ان فعل الوقاية سريع ويقوى بالوسائط فيزيد فعلها حالاً ثم يزول بعد يوم او يومين وقلما يبقى منها شيء بعد اربعة ايام . اما المناعة فعمل بطيء تبثدي ببعض حويصلات الجسم فتجعلها تفرز مواد جديدة تنصل منها الى الدم ولكنها متى تكونت تبقى دائماً او يصير الجسم قادراً على تكوين مثلها سنة بعد سنة

اصل الانتخاب الطبيعي

ابنا غير مرة ان مذهب نشوء الانواع بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي قال به دارون وولس في وقت واحد لا لانهما استنجاه في وقت واحد بل لانهما اشهراه معاً وقد كتب ولس يثبت ان الفضل في هذا الاكتشاف لدارون وان ليس له هو الا جزء صغير جداً منه . وهذا شأن الكرام الذين لا يخشون الناس اشياءهم ولا يتخلون ما ليس لهم . وكلام ولس في هذا الموضوع لا احتفلت جمعية لينوس الطبيعية به ودارون حري بان يكتب بماء الذهب

وقد اشرنا اليه في شهر اغسطس الماضي وذكرنا خلاصته ورأينا الآن ان نترجمه كله هنا قال . اني شاكر مجلس ادارة هذه الجمعية على الشرف العظيم التي انالني اياه بقرنها اسمي مع اسم تشارلس دارون في هذا الاحتفال وعلى الشرف الاعظم الذي نلته بتخليد صورتي مع صورة سابقي المجيد في النشان الذي منحني اياه

واني استمحيكم بذكر بعض كلمات من حيث العلاقة التي كانت بين دارون وبيني قبل شهر يوليو من سنة ١٨٥٨ وبعض ما يتعلق بي وبه بما مكن العلاقة بيننا ولا يخلو ذكره من لذة لاني لم اذكره قبلاً

من حين مات دارون سنة ١٨٨٢ وانا اجد الكتاب يعزوني الي شيئاً لا استحقه لانهم لا يعلمون ماهو نصيبي الحقيقي من المذهب الداروني فقد قيل في الجرائد والمجلات اننا اكتشفنا الانتخاب الطبيعي في وقت واحد وكل منا لا يعلم بما فعله الآخر . وبالغ بعضهم فقال اني انا السابق الى هذا الاكتشاف واني تنازلت عنه لدارون

ودفعاً لهذا الوهم ارى انه يليق بي ان اقص واقعة الحال كما وقعت تماماً ان الامر الوحيد الذي يربطني بدارون ولم ينكره احد علي هو ان فكرة الانتخاب الطبيعي او بقاء الاصح وما ينتج عنها خطرت لي كما خطرت لدارون وكل منا لا يعلم ما خطر للاخر واننا اعلنا ذلك معاً في وقت واحد امام هذه الجمعية منذ خمسين سنة

ولكن الامر الذي نسيه الكتاب هو ان هذه الفكرة خطرت ببال دارون سنة ١٨٣٨ قبلما خطرت ببال بعشرين سنة . وان دارون ظل كل تلك السنين يجمع الادلة التي تؤيدها مما كتب في علم الحيوان والنبات والزراعة ومن التجارب التي جر بها هو نفسه والامور التي

شاهدها كما يظهر مما اثبتته في كتابه « اصل الانواع » وفي كتابه الآخر الذي موضوعه الحيوانات والنباتات الالهية نانه جمع مواد ذينك الكتابين وحققها ورتبها في تلك السنوات العشرين

وقد كتب دارون بمجل آرائه في سنة ١٨٤٤ وأطلع عليها صديقه السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر قبلما خطر لي ان اهتم بدرس المواضيع الطبيعية . فلج عليه السر تشارلس ليل ان ينشر خلاصة آرائه باسرع ما يمكن لئلا يسبقه احد اليها اما هو فاني مفضلاً الانتظار الى ان يشئ لي تنسيق كل ما جمعه في هذا الموضوع . ثم تم ما أنبأ به ليل فجاءه كتاب مني وفيه مقالة في هذا الموضوع فانقض عليه كصاعقة من السماء واضطره حينئذ صديقه ليل وهوكر الى نشر مقالة منه في هذا الموضوع مع مقالتي وقرئت المقالاتان معاً في هذه الجمعية

فما اعظم الفرق بينه وبينى . هو درس الدرس الطويل واعد المعدادات الكثيرة وعزم ان لا يشير نتيجة عمله الا بعد ان يجمع له من الادلة ما لا يبق محالاً للريب . اما انا فخطر بيالي هذا الخاطر في طرفه عين ولم افكر فيه اكثر من ساعات قليلة فكتبته حسبما خطر لي حينئذ بكل تفاصيله وتطبيقاته ثم نسخته على ورق رقيق وارسلته الى دارون وحدث كل ذلك في اسبوع واحد وقد كنت عجبواً كما هو دأبي دائماً . وطالب العلم انما يقصد تحقيق الامور التي يكتشفها لا الشهرة بها

هذا الذي جرى وانه ليرضي ان يكون نسبة نصيبي من هذا الاكتشاف الى نصيب دارون منه كنسبة المدة التي قضيتها في تحقيقه الى المدة التي قضاها هو اي كنسبة اسبوع واحد الى عشرين سنة . ولو انقاد للجاجة اصدقائه ونشر اكتشافه بعد ما اكتشفه واشغل في تحقيقه بعشر سنوات او خمس عشرة سنة او ثمانى عشرة سنة لما كان لي فيه اقل نصيب ولا اعترف له الناس اجمع ان هو المكتشف الوحيد لناموس الانتخاب الطبيعي بكل نتائجه

حقاً اني موفق جداً باكتسابي شيئاً من نحر هذا الاكتشاف مهما كان قليلاً . ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وقبل ذلك ايضاً كان كثيرون من علماء الحيوانات والنبات يبحثون في هذا الموضوع وارتأوا فيه آراء لا تكفي لحلهم وبعضهم من اكبر العلماء عقلاً لكنهم لم يهتدوا الى محجة الصواب . ولو لم يتأخر دارون في نشر اكتشافه ليزيده تحيصاً لما ابقى لي اقل شأن فيه

وهذا يفتح لي مجالاً للنظر في هذه المسألة وهي لماذا عجز كثيرون من اكبر العلماء عن اكتشاف هذه الحقيقة وخص باكتشافها دارون وخصصت بها انا . يظهر لدى البحث اننا

انا ودارون كنا متفقين في امور كثيرة عقلاً وملاسات وهذه الامور قادته وقادتي الى اكتشاف الانتخاب الطبيعي معاً

واول هذه الامور انا ودارون كنا في صغرنا من المولعين بجمع الزيزان على انواعها. وليس بين الحيوانات ما يماثل هذه الحشرات في تعدد اشكلها وتنوع الوانها التي تمتاز بها انواعها ومناسبتها للاماكن التي تعيش فيها. وهذه الصفات تظهر في زيزان الاقاليم الحارة كما تظهر في زيزان الاقاليم المعتدلة وفي الجزائر الانكليزية وحدها على ضيقها ٣٠٠٠ نوع منها

ثانياً ان دارون كان مثلي مغرمًا بجمع الاشياء الطبيعية حباً بجمعها كما صرح بذلك للندقي في درس تراكيبها ظاهراً وباطناً او رغبة في رؤية ما بينها من الاختلاف كما اقول انا ولو لم يظهر هذا الاختلاف لاول نظرة. فهذا الامر السطحي الصياني على ما يقال الذي يُنظر فيه الى الظواهر فقط ويستخف به لانه ليس من مطالب العلماء المدققين هذا الامر هو الذي قادنا الى النظر في مسألة تولد الانواع لان الطبيعة تميز بين انواعها بهذه الصفات الظاهرة التي هي اختلاف في الشكل او في نسبة الزوائد بعضها الى بعض فيمتاز بها النوع الواحد عن الآخر امتيازاً واضحاً يتبعه غالباً اختلاف في الحركات والاداءات. وكثيراً ما يسهل الفرق بين نوعين مماثلين بما بينهما من الاختلاف في الوانهما ونقوشهما

ويرى المرء في البحث عن هذه المميزات واكتشاف ما لا ينتظر اكتشافه منها بين الحشرات المتشابهة لذة تفوق الوصف. واذا كان ميالاً الى التفلسف مثلي ومثل دارون اضطر الى البحث من اسباب ما يراه اي عن كيفية حدوث هذه التغيرات الكثيرة والغاية منها

ثم اتفق لنا كلينا ان سحنا في الارض لمشاهدة الطبيعة وجمع الامثلة الطبيعية وكانت سياحتنا كلينا في اغني البلدان بالموجودات الطبيعية فاضطررنا ان نلتفت الى ما في الكائنات الحية من التغيرات وما يلابسها من تغير البقاع والاقاليم فزادت رغبتنا في البحث عن كيفية تولد انواع الحيوان والنبات وصارت هذه الرغبة شغلنا الشاغل فصرنا نفكر في هذا الموضوع نهائياً وليلاً

ولما امثلاً ذهنا بهذه الامور انشينا كلانا الى كتاب ملثس في السكان والطرق الطبيعية التي تمنع زيادتهم حتى تبقى اسباب المعيشة كافية لم فآثر فينا كلينا تأثيراً واحداً اي قادنا الى الفكر بان هذا الجهد يقضي ببقاء الاصلح او الانسب للبقاء وما يستحق الذكر ان دارون قرأ هذا الكتاب بعد رجوعه من سياحته بسنتين وانا

قرأتُ قبلما سحت ولما كنت في سياحتي خطرت معانيه بيالي وأرشدتني الى هذا الامر اي بقاء
الاصح في الجهاد لاجل البقاء

وقد كنا كلانا في سياحتنا في سعة من الوقت للبحث والتفكير في ما يقع تحت نظرنا
وعندي ان هذا ايضا كان من اقوى الاسباب التي اوصلت ببحثنا كلينا الى نتيجة واحدة
وهذه المشابهات بيننا في كثير من الامور العقلية والاحوال الخارجية التي قادتنا كلينا
الى التفكير في موضوع واحد على صورة واحدة تفسر لنا كيف لم يوفق احد من معاصرينا
الى هذا الحل البسيط لمسألة من اعظم المسائل فان روبرت تشمبرس وهيريت سبنسر وهكسلي
كانوا كلهم من كبار العقول الواسعي الاطلاع الكثيري البحث والتنقيب ولكنهم لم يكونوا
مثلا مبالغين بالفطرة الى جمع الحيوانات والنباتات والبحث عن مميزاتها وكلمهم والسر تشارلس
ليل العالم الكبير معهم عكفوا على البحث في بعض المواضيع العلمية نشغلت كل عقولهم وحرمتهم
من البحث في غيرها . وكذلك العلماء الذين سبقوا دارون الى البحث في هذه المواضيع لم تكن
معارفهم فيها كافية ولا جمعوا من موادها الشيء الكثير كما جمع هو ولا كانت رغبتهم شديدة
مثل رغبته ليروا ما رآه

والآن اعود الى ما يخصني في هذا البحث فاقول اني وصلت الى هذه النتيجة من عهد
طويل وهي انه ما من احد يستحق ان يمدح او يذم لاجل خاطر خطر له ولكنه يمدح او يذم
بحسب النتائج التي انتجها من ذلك الخاطر لان الخواطر والآراء ليست من الاعمال الخاضعة
للارادة انما تخطر لنا وقتا نعلم كيف تخطر ولا من اين تأتي ومتى خطرت لنا وتملكت منا
تعدّر علينا صرفها عنا او تغييرها بارادتنا ولذلك يحسن ان يكون الناس احراراً في آرائهم
وخواطرهم لا يرغبون فيها بمدح ولا عنها بذم

ولكن الاعمال التي تنتج عن الآراء هي التي تستحق المدح او الذم لانها خاضعة لارادة
صاحبها وبها يعلم ما اذا كانت آراؤه صائبة فتتبع او طائشة فتهجر
ولذلك فاني اقبل اكليل المجد الذي كُلتوني به الآن لانه خطر بيالي خاطر جعلني
انته لناموس بتاء الاصح بل لانكم نظرتم الى اعمالي التي عملتها لايضاح هذا الناموس
وتحقيقه واطهار ما ينطبق عليه والتوسع في ذلك ولو خالفت فيه معلمي وصديقي تشارلس دارون

معركة بولتاوى

فصل من التاريخ وكلمات لفولتير

افادتنا انباء اوربا بالامس ان الحكومة الروسية والشعب الروسي احنفلوا بعيد مرور ٢٠٠ سنة على معركة بولتاوى احتفالاً عظيماً اهتم به جلالة القيصر اهتماماً خاصاً فزار بنفسه ميدان تلك المعركة الهائلة بجوار مدينة بولتاوى الروسية المسماة باسمها والظاهر انه اراد من زيادة الاهتمام بهذا العيد التاريخي الوطني تحميس قومه واثارة النخوة في رؤسهم ولا سيما رؤوس جيشهم الذي انكسرت قلوبه على اثر فشله في حرب منشوريا الاخيرة وخيف عليه ان يفقد الثقة بنفسه وبقواده ودولته الامر الذي هو آفة الجندية واكبر خطر عليها.

وقد عمت الاحتفالات جميع بلاد الروس وكان اعظمها في العاصمة بطرسبرج وفي بولتاوى نفسها ميدان المعركة المحدد لتذكراها . اما في بطرسبرج فقد اقيم لها حفلة دينية شائقة خرج الكهنة على اثرها من الكنيسة وطافوا في شوارع المدينة لابسين ثياب التقديس الكهنوتية حاملين الايقونات والصلبان والشموع والشعب وراءهم خاشع مبتهج واطلقت المدافع من القلاع واحتفل بكشف الستار عن تمثال من تماثيل الامبراطور بطرس الاكبر وهو ينجي باحد تدابير الحربية فرقة من جنده كان يتهددها خطر الغرق في خليج فنلندا في احدى معاركها . واحتفل اهالي بطرسبرج ايضاً بوضع الحجر الاول لانشاء جسر جديد على نهر النيفا والحجر الاول لتأسيس مدرسة كبيرة ستجوي نحو الف تلميذ . وقد حضر هذه الاحتفالات القيصر تان ام القيصر ووالدته وعمته ملكة اليونان . واما في بولتاوى فابتداءً الاحتفال والقيصر حاضر بحفلة دينية ايضاً اقيمت عن روح الامبراطور بطرس الاكبر ثم عقبها حفلة كشف الستار عن تمثال القائد الباسل كيلنج الذي كان زعيم الجند الروسي في حصون بولتاوى حين هاجمتها الجنود الاسوجية وبعد ذلك عرض القيصر الجنود بابهة عظيمة واوصاهم ان يقتفوا آثار اسلافهم العظماء ابطال معركة بولتاوى والقي الخطاب الآتي على كثيرين من الاعيان والوجوه قال

« كنت اترقب بقلب خافق هذا اليوم الميمون النقية الذي من الله عليّ ببلوغه ولا اشك ان كلاً منكم كان يشاركني في هذا الشعور الوطني . ولا بدع فاننا نحفل بمرور قرنين كاملين على معركة شهيرة هائلة كانت الحد الفاصل بين حياة بلادنا وموتها وانتعاش مجدا القومي وتلاشيه في ظلمات العدم ولكن الله سبحانه وتعالى تداركنا بلطفه الخفي فاعد لنا سمو

مدارك بطرس الاكبر ورباطة جأش الشعب الملتف حوله منجاة من الهلاك فتم لنا الظفر الباهر في تلك المعركة وبها احرزنا المجد الخلد . كذا كانت المخاطر التي تهددت روسيا في قديم الزمان وقد اصابته منذ يسير مخاطر ومثاعب اخرى هي الآن في طور الخلاص منها والحمد لله . ولا اشك اننا نسير في طريق النجاح والاصلاح لان الجيل الذي يخلفنا سيستشي له اكثر منا خدمة بلاده وامته . وشرط هذا الطلب ان يتضافر رعايانا تضافراً صادقاً ويثقوا بقوة وطنهم وينصرفوا الى حبه وحب الاطلاع على تاريخه

« واني ارفع كاسي الآن داعياً الله ان يكون الشعب الروسي وقيصره على تمام الوفاق والوئام واشربها متمنياً السعادة والهناء لسلالة اولئك الابطال الذين حاربوا وانتصروا حيث نحن الآن وحيث وجدت خلفهم الجند القائم امامنا بمظهر يقر العين ويسر الخاطر . ولذلك اشرب على حبه وولائه هو وسائر جيوشنا بل على حب امنا جميعاً اي روسيا العظمى »

على ان معركة بولتاوى تستحق ذكراها من الروسيين كل تحيد لانها هي اول معركة وجهت انظار اوربا اليهم وجعلت لهم في نفوس الدول الاوربية العظمى هيبة ورهبة لانهم انتصروا فيها على الدولة الاسوجية وكانت يومئذ ذات حول وطول وسلطان واسع وقهروا ملكها كارلوس الثاني عشر الذي كان يلقب بطل اوربا والملك الذي لا يقهر ويعد في مقدمة جبابرة العالم وقواده العظام . وكان للدولة الاسوجية على روسيا فضل قوة ظاهر حتى انها قبل معركة بولتاوى بنحو خمسين سنة استولت على بعض الولايات الروسية بدون مقاومة وفعلت مثلاً دولة بولونيا التي اقتسمها الروس والالمان والنمسيون بعد ذلك بنحو ١٥٠ سنة وفاز الروس منها بالسهم الاوفر وهكذا الدهر في الناس قلب وبرق امانيه خلب

اما معركة بولتاوى فهي اعظم معركة قامت بين الروس تحت قيادة امبراطورهم بطرس الاكبر وبين الاسوجيين تحت قيادة ملكهم كارلوس الثاني عشر وكان وقوعها في ٨ يوليو سنة ١٧٠٩ وقد تقدمها وتأخر عنها كثير من المعارك بين الفريقين استغرقت نحو ١٤ سنة وساعد الروس في السنين الاولى حلفاؤهم البولونيون والدنركيون ثم تخلوا عنهم عجزاً وبأساً لتوالي انتصارات الاسوجيين وكاد اليأس يدخل ايضاً قلب بطرس الاكبر ولكن عزمه الشديد الواصل الى حد العناد تغلب عليه اخيراً ورسخ قدمه في ميدان المقاومة حتى تم له نصر باهر في المعركة المذكورة فرّ على اثرها عدوه كارلوس الى البلاد العثمانية واقام في ضيافتها في مدينة بندر خمس سنوات متوالية على عهد السلطان احمد الثالث وحاربت الدولة العلية لاجله روسيا وانتصرت عليها قرب نهر بروت . ثم خرج كارلوس من البلاد العثمانية واستأنف الحرب مع

الروس مدة اربع سنوات وكان الفشل نصيبه في معظم المواقع واخيراً عقدت شروط الصلح بين الفريقين بعدما اخذت روسيا من اسوج بلاداً واسعة من احسن بلادها واعادت ملك بولونيا اغسطس حليف الروس الى عرشه وكان قد اسقطه عنه الملك كارلوس في ابان سطوته وانتصاراته

ومن ذلك الحين ازداد الامبراطور بطرس شهرة على شهرة في اقطار المعمور ولقب بطرس الاكبر وصار رعاياه يدعونه « ابا الشعب » وكانت وفاته سنة ١٨٢٥ وهو فوق سن الخمسين بقليل

على ان حروب بطرس الاكبر وانتصاراته على الاسوجيين وقبلهم على التتر والفرس وسوام وان كانت جليلة عظيمة ليست اعظم آثاره بل اعظمها ادخال الاصلاحات الجمة في بلاده واخراجها من ظلمة الجهل المطبق الى نور غير يسير من العلم والعرفان باستقدامه الى مملكته الواسعة اصحاب العقول الثاقبة من رجال الفنون والصناعات الاوربيين لينشروا كنوز علمهم على الناشئة الروسية كما انه ارسل من اولاد الاعيان جمهوراً اقتبس من انوار الغرب ما استطاع اقتباسه ثم عاد به الى اوطانه . ولم يكتف بذلك بل ذهب هو بنفسه متكرراً الى النمسا وهولاندا وسويسرا وانكلترا وجعل يتعلم الحرف المختلفة ولا سيما المتعلقة منها بالصناعة البحرية حتى انه انشأ بيديه دارعة محمولها ستون مدفعاً ونال ايضاً قسطاً كبيراً من بعض العلوم كالجراحة والكيمياء والطبيعات والفلك وغيرها وقضى في تحصيل ذلك كله سنتين فقط وكان يود زيادة الاستفادة لو لم تجبره على الرجوع الى بلاده فتن وقلاقل بدرت بوادرها فاخذ شررها قبل ان يتحول الى ضرام متأجج

وقد وصف فولثير الكاتب الفرنساوي الشهير شيئاً من اطوار العدوين العظيمين بطرس الاكبر وكارلوس الثاني عشر في عهد معاركهما الاولى التي كان طائر النصر في اكثرها يحوم فوق هام الاسوجيين لا الروس . قال :

« وكان قد اعلى قدر كارلوس الثاني عشر تسع سنوات من النصر الباهر والفتح المبين . واعلى قدر بطرس اليكسوفتش تسع سنوات قضاها في المصاعب والمتاعب ليجعل جيشه معادلاً لجيش اعدائه الاسوجيين قوة ونظاماً . فخر ذاك انه غزا ممالك وفتح بلداناً . وفخر هذا انه رقى مملكته ومدّن بلاده . لا يخوض كارلوس غمرات الحرب الا لانه يميل اليها بالفطرة ويشاق الى احراز اكليل النصر . ولا يخوضها بطرس غير مبال بمخاطرها الا تطلباً للنفع وطمعاً منها بثمره محسوسة . كان ملك اسوج كبير النفس كلفاً بالسخاء عن غير تكلف . وكان

ملك الروس لا يبسط يده إلا وقد اعد مطعمًا يقبض عليه . ذاك معتدل في معيشته الداخلية واهوائه الى حد لا يباريه فيه مبار ولم تبدر منه بادرة توحش إلا مرة واحدة . وهذا ترهبة رعاياه وتعجب به الغرباء مفرط في اهوائه مقصر في حق نفسه حتى اختصر ما طريق الحياة . لقب كارلوس « الملك الذي لا يقهر » وهو لقب متقلقل تنزعه منه ساعة حرب واحدة يناله فيها الفشل . ولقب عدوه « بطرس الاكبر » او « بطرس العظيم » وهو لقب ثابت بقي له ان انتصر او انكسر لانه لم يرجعه من وراء النصر وحده »

وقد وصف نولثير موقف بطرس الاكبر في معركة بولتاوى فقال :
« وكان في وسط جيشه يتنقل بين صفوفه ممطياً جواداً تركياً حائناً قواده وجنوده على الاقدام والثبات واعداً كلاً منهم بحسن الجزاء »

ولما تم الفوز لبطرس الاكبر اقام مأدبة كبيرة دعا اليها اسراهُ من ضباط الاسويجين و اشار اليهم بيده شارباً كأسه قائلاً (اني اشرب على صحة ضيوفنا الذين علمونا فن الحرب) فذكرنا بليته سلباً وشده حرراً قول القائل :

اني لاكثر مما سميتي عجباً يد تشج واخرى منك تأسوني

ادوار مرقص

مدافن مريشة

عمران فلسطين قديم مثل عمران مصر ان لم يكن أقدم منه ولم يزل في البلاد كثير من آثار عمرائها السابق مدفوناً تحت انقاض مدينها وفي قبور ملوكها وكبرائها واهل البحث ينقبون عنه وقد ضعفت هممتهم في العهد الحميدي لشدة المراقبة عليهم ولكن المراقبة أفادت ولم تضر لانها حفظت آثاراً كثيرة من مغادرة البلاد وعسى ان تبقى على حالها من هذا القبيل على شرط ان ينشأ في سورية دار لتحفظ يحفظ فيها ما يكشف منها كما تحفظ الآثار المصرية في دار تحفها وقد بعث الينا حضرة الفاضل فيضي افندي العلي رئيس بلدية اورشليم بكتاب اهدته اليه جمعية النقب في فلسطين وصفت فيه مدافن مريشة المصورة اعترافاً بما له من الايادي البيضاء في مساعدة الذين كشفوها وصورها ووصفوها

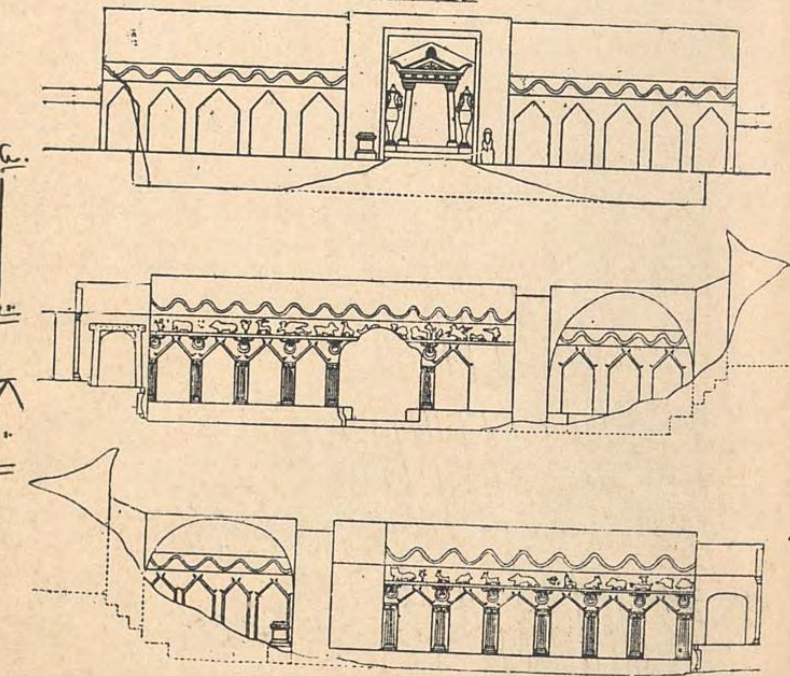
والظاهر ان المستر فستر والمسترجون هو يتنجد كانا اول الاوربيين الذين رأوا هذه المدافن بعد اكتشافها وقد كشفت سنة ١٩٠٢ وهي على مقربة من بيت جبرين واتفق ان الدكتور

بيترس الاميركي والدكتور ثيرش الالماني كانا سائحين في فلسطين في ذلك الوقت فاستأجرا دليلاً اخذهما اليها فرأيا انها من المكشفات ذات الشأن الكبير وفاساها وصوّراها ورسمها الخواجه رعد من مصوري اورشليم بالقوتوغراف وصورها الاب فسنت والاب سافنيك بالوانها والمدافن التي فيها صور ملونة قليلة في سورية فقد ذكر رنان انه وجد في كهف ابلون بصيداء بعض المدافن وعلى جدرانها صور ملونة ولكنها ساذجة . اما فلسطين فلم يوجد فيها من المدافن المصورة قبل مدافن مريشة او بيت جبرين غير ثلاثة

وبيت جبرين قرية قائمة حيث كانت مدينة قديمة من مدن فلسطين الحصينة . وقد كان لها شأن في زمن الحروب الصليبية فبنى الصليبيون فيها قلعة حصينة وكانت مدينة كبيرة في زمن الروم وكرسياً اسقفياً لكن شأنها الاكبر كان في زمن الرومانيين ولا سيما سنة ٢٠٠ للميلاد حين بناها الامبراطور سبتيميوس سويرس وسميت اليتروبوليس . ولا تزال هناك آثار الطرق الرومانية التي كانت ممتدة منها الى كل الجهات . وذكرها يوسفوس المؤرخ باسم بيت جبرين ولعل معناه بيت الجبار او بيت الجبارين ومن رأي مؤلفي هذا الكتاب ان المدينة القديمة الحصينة كانت على نحو ميل الى الجنوب من بيت جبرين الحالية في المكان المسمى الآن تل سندحنا اي ماريو حنا نسبة الى دير هناك لان موقعها الطبيعي احصن من موقع بيت جبرين وهي مريشتا او مريشة المذكورة في سفر ميخا النبي وفي سفر الايام الثاني حيث حدثت معركة كبيرة بين آسا ملك يهوذا وبين زارح الكوشي فدارت الدائرة على زارح

وصارت مريشة من عواصم تلك البلاد في عهد الادوميين ودخلت في سهم سلوقس مع غزة بعد وفاة الاسكندر المكدوني واخذها البطالسة سنة ٣١٢ قبل الميلاد ثم أخذت منهم واعيدت اليهم سنة ٢٧٤ واخذها منهم انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ ولكن دارت الدائرة على جنوده في رفح في السنة التالية فاستردتها مصر وبقيت تابعة لها الى ان حدثت معركة بانياس سنة ١٩٨ فعادت الى انطيوخس الكبير هي وكل فلسطين ثم اعطاها لابنته التي ازوجها لملك مصر . وكان لها شأن في حروب المكابيين واخربها الفرس سنة ٤٠ قبل المسيح ولم تعد تذكر من ذلك الحين الا كحرب وصارت بيت جبرين تذكر بدلاً منها

والمدافن الموصوفة في هذا الكتاب اربعة وفي كل منها قبور كثيرة كما في الشكل الاول وهو رسم المدفن الاول والحجر التي على جوانبه قبور مستقلة . والمدفن كله منحوت في الصخر كمدافن الفراغة ينزل اليه بدرج فيجد الداخل اولاً داراً فسيحة مربعة حيث الحرف A والى يمينه ويساره جناحان كبيران والقبور على جوانبهما وامامه مدخل آخر يوصل منه الى غرفة طويلة



الشكل الاول

السنه



صورة مطاردة الصيد على الواجهة الجنوبية انظر الصفحة ٧٦٩



صورة خنزير وتنين ووعل

والقبور على جانبيهما وجملة القبور في هذا المدفن ٤٤ ثلاثة منها كبيرة وهي التي في طرف الفرع الشرقي وطول كل قبر من القبور الصغيرة ٢٤٠ سنتيمتراً وعرضه ٧٢ سنتيمتراً أما عدا القبرين ١٦ و ١٧ وواجهات القبور مصورة وبعضها منقوش نقشاً غائراً في الحجر كما ترى في الشكل الثاني فإن القسم الاعلى منه صورة الواجهة التي يراها الداخل متى وصل الى الحرف A والقسم الاوسط صورة الواجهة الداخلية اذا وقف الناظر عند الحرف ١١ والثفت الى الجنوب . والقسم الاسفل صورة الواجهة المقابلة لها

ومن النقوش الملونة في هذه الواجهات كما ترى في القسم الاوسط من الشكل الثاني مبتدئاً من الزاوية الجنوبية الغربية صورة مطاردة الصيد فالولا صورة رجل يده بوق طويل وهو لابس رداءً أصفر تحته ثوب ابيض وقد تمتطى بمنطقة وارخي لها عذبتين لكن شيخ بيت جبرين ا تلف وجهه لما كشف غيره . منه على حفظ الشعائر الدينية . وكان شعره مربوطاً بشريط أحمر وقد عبثت به الريح وفي قدميه خفان ربطهما بسيرين فوق المخلخل وقد كتب اسمه فوقه ولكن حروفه غير واضحة وامامه فارس ممثط جواداً اصهب وقد سدّ رحله وكاد يطعن به نمره والنمره واثبة على جواده وفي صدرها نبله ادمتها ووراءها كلب صيد واثب عليها وهو صغير جداً بالنسبة اليها كما انها هي صغيرة بالنسبة الى الجواد . والى جانب الجواد كلب آخر يعدو اليها ولبس الفارس مثل لبس البواق . وسرج الفرس كثير الزركشة كالسروج العربية المنقوشة وجلد النمره مرقط والوانه سوداء وصفراء وفي عنق الكلب طوق وهو دقيق الاذنين وقد سال الدم من صدر النمره . ووراء النمره والكلب شجرة تشبه النخل او الدوم وبعد ذلك حيوانات مختلفة منها حيوان كالاسد وقد ازبأراً وفغر فاه ودلع لسانه ولكن كتب فوقه انه نمر ومن الصور الكثيرة صورة زرافة وخنزير بري ووعل وتنين وهو حيوان مجنح في صورة الاسد او الفرس . وفيل وفرس بحر واسماك كبيرة وحمار وحش وعناق الارض الى غير ذلك مما يطول شرحه

وهناك كتابات يونانية كثيرة فعلى باب الجناح الجنوبي من القبر الاول كتابة يقال فيها ابولوفانس بن سسمايوس كان ركن الصيدونيين في مريشة ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اشد ابناء عصره حباً لوطنه توفي وعمره اربع وسبعون سنة

وبدل شكل الكتابة على انها من القرن الثالث قبل المسيح . والاسم ابولوفانس يوناني ولكنه كان شائعاً في فينيقية والاسم سسمايوس سامي وقد ورد في الاصحاح الثاني من سفر الايام الاولى والكلمة هناك سسماي والكلمة التي ترجمناها بكلمة ركن هي اركاس ومنها اركون

اي رئيس وقد عرت قديماً ومنها اراخنة او اراكنة في العربية . ويدلُّ لقب هذا الرجل على ان جماعة من اهالي صيدا سكّنوا مدينة مريشة وكان ابولوفانس بن سسماي زعيماً لهم ومن الكتابات الغربية المسطورة على قبر من هذه القبور محاوره شعرية بين حي وميت قالت الحي لميت . أليس في طاقتي ان افعل لك شيئاً او اسرك بشيء . الميت للحي . كلا فاني راقد مع آخر (مع الموت) ولكن حيي لك لن يحول الحي لميت . يسرني وحق الزهرة ان رداءك لا يزال عندي رهناً الميت للحي . ولكنني بعدتُ عنك فانت حرة افعلي ما تشائين

لمسيحي الجنائز والنادبين لا تلتطموا حائطاً لا يرد جواباً فقي الامر . دخلت من الباب ووقدت والكتابة من القرن الثالث قبل المسيح كما يستدل من شكل حروفها وقد وجدت قبور مثل هذه في بلاد اليونان وقرطاجنة ومصر وسورية وفينيقية . والظاهر انها نشأت في القطر المصري اولاً ثم شاعت في بقية البلدان

وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية ولو وجدت في الممالك العثمانية ادارة كبيرة لحفظ الآثار القديمة لست في ترجمته الى العربية او التركية لان العثمانيين احرى من غيرهم بالوقوف على فوائده . فنشكر للذين اشتركوا في اكتشاف هذه المدافن وحل رموزها ووضعوا لما هذا الكتاب النفيس

الحضارة الاثينية القديمة^(١)

ان موضوعنا هو الحياة الاثينية وبحسنا مقصور على حضارة اثينا . ومن الخطأ في التاريخ ان نزع — كما يفعل الكثيرون — ان ما يقال في احوال الاثينيين وعوائدهم عامتهم وخاصتهم يصدق ايضاً على اليونانيين (الاغريقين) بوجه عام . فان بلاد الاغريق على المعنى القديم — هلاس — ليست هي بلاد اليونان الصغيرة المتحدة كما يؤخذ من الخريطة الحديثة . انما اثينا بلد يستميل القلوب قبل الابصار بل هي البلد الذي تفوق معلوماتنا فيه معلوماتنا في غيره : هي البقعة التي نبتت فيها الفنون واثمر العقل الانساني . هي التي خلقت لنا اثرأ فاحراً خالداً اعني به تاريخها الخافل بالحوادث المدهشة . كان هذا البلد فوق ذلك اغزر بلاد اليونان سكاناً واحماها انفاً . ولكنها كانت عاصمة حكومة صغيرة هي حكومة « اتيكا » على انها كانت بعيدة

(١) خطبة تليت في نادي موطني الحكومة بالاسكندرية في شهر يونيو الماضي

— الأ من قبل اللغة — عن كثير من الحكومات الاغريقية من الوجهة السياسية والاجتماعية بعد المائتين عن فرنسا . كان قدماء اليونان يريدون بهلاس كل مكان ينزله الاغريقون حيث تكون لغة الاغريق هي لغة الكلام وحيث يتجانس القوم بعض التجانس في الاصل والدين . واذا توخينا الحقيقة وجدنا انه يصعب علينا ان نجد شيئاً يطبق كل التطبيق على من نسميهم بقدماء اليونان الأ من وجهة وحدة اللغة — على ان هذه كانت مختلفة اللهجة اختلافاً لا يقل عما بين لغة الشاعر السكوتلندي « بارنس » ولغة الانكليز الفصيحة — وكذلك ما بينهم من التشابه في الزي والدين والاشترك في الملاهي والملاعب العامة « كالألومبيا » « ودلفي » وما شاكلهما . على اننا اذا عمدنا الى التعميم في الحكم على هؤلاء القوم كنا مخطئين وكنا كالذي يقول بعد ألفي عام مثلاً ان الانجلوسكسونيين الحاليين هم نسل واحد !

اما العالم اليوناني القديم فكان يشمل بلاد الاغريق الاصلية وجزر الاجيان وكريت وشواطئ تركيا الحاضرة والشواطئ الغربية في آسيا الصغرى واطراف ايطاليا الجنوبية والجنوبية الغربية والجزء الاكبر من صقلية وقبرص ومكيرين في افريقية وأما كن اخرى بعيدة الى جهة الغرب حتى مرسيليا وشواطئ البحر الاسود . واليونان التي نعرفها لم تكن مملكة واحدة بالمعنى السياسي بل كانت عدداً من الحكومات المستقلة وكان البعض منها في منتهى الصغر ومع ذلك كانت تضم لبعضها البعض والانتقام

اما الرابطة التي كانت تجمعهم فهي اللغة والدين والشعور الجنسي . وقد كانت اتيكا وعاصمتها الاثينا ارفعهن مقاماً وفائدة بل هي اشهرهن من حيث تاريخ العقل الانساني . ولا يخالف اليونانيون الآخرون الاثينيين في نظام الحكومة فقط بل هم يباينونهم ايضاً في مبادئهم وعوائدهم الاجتماعية . ولا يفوتنا ان نذكر هنا انه بينما كانت اسبارطة ذات حكومة اوليغرافية (حيث تحكم القلة الكثرة) جافة الطبيعة بعيدة عن الآداب مجردة عن صفة اكرام الاجانب كانت اثينا شديدة التمسك بالمبادئ الديمقراطية (القاضية بالمساواة في الحقوق والامتيازات) والعمل بها محبة للاجتماع والمخالطة ميالة الى الادب حريصة على سجية السخاء والكرم نحو الاجانب بحيث اذا ذكرت (طيبة) وقوم يوشيان كانوا اغنياء بجانب هؤلاء الاثينيين اما تساليا فكانت ارسطقراطية منغمسة في حماة الترف والذات جامدة في احوالها واجتماعها

بينما كان هؤلاء على هذه الصفات كانت اثينا قليلة التقيد بالعوائد وعقول رجالها في بقة مستعدة لقبول كل جديد يطرأ عليها . وربما كانت اثينا من اليونان — في العصر الذي

سنتكلم فيه عنها — بمنزلة باريس من اوربا الغربية بعد لويس الرابع عشر حيث كانت محل الاعجاب والاستغراب وكان يحسدها غيرها ويغبطها على رقيها فيعمل على تقليدها فاذا فشل حقد عليها وكرها . كانت اثينا الواضحة للاذواق والازياء في كل الفنون والآداب . على انه كان يصعب على المرء ان يحكم بباريس على اوربا كما انه لا يمكن ان يحكم باثينا على اليونان فلذلك ينبغي لنا ان نخدر من التعميم ومن تطبيق ما قد يصدق من الملاحظات على الاثينيين فقط على اليونان جميعاً . ولا ريب اننا قد نكون مصيبين ولكن ربما ادى ذلك بنا الى خطأ عظيم . وليست هذه الاختلافات بين الاغريقين وبعضهم ناشئة من موقعهم الجغرافي واستقلال حكوماتهم بعضها عن بعض في النمو والنشوء . ولئن كانت هذه مسائل جدية بالاعتبار الا ان السبب الاول سابق لهذه وابعده . خذ الجزر الانجليزية مثلاً لذلك تجد ان الرجل الارلندي يختلف عن الرجل الانجليزي لا يكون الاول يسكن ارلندا بل لاختلاف عائلتيهما اللتين تناسلا منهما . وهذه كانت حال قدماء اليونان فكان اغريقي جزر اليونان — الاثيني — يخالف اغريقي دوريا الاسبارطي في التركيب العقلي . وذلك لان الاول كان مختلط الجنس والاصل اكثر من الثاني . على ان كلا الرجلين كان يتكلم باللغة الاغريقية وكانت بينهما لحة اتصال في النسب ومع ذلك كان بينهما من التباين ما بين الانجلوسكسونيين وسكان ايرلندا القريبين من الجنس السليتي . ولقد يظهر لنا ان ايضاح هذه النقطة من الاهمية بمكان فلا بدع اذا قررنا في ما يلي شيئاً عن هؤلاء القوم على قدر ما وصلت اليه الابحاث الحديثة

قبل ابتداء تاريخ الامة اليونانية هاجر القوم ذوو القامة الطويلة والشعور الخفيفة الذين هم سائدون اليوم في بريطانيا والمانيا واسكندناوه وغرب روسيا فدخلوا ايطاليا واسسوا روما ثم مالوا الى الشمال فخطوا عصا الترحال في ارض فرنسا والجزر الانجليزية ثم انتقل منهم قوم الى الجنوب ونزلوا في شبه جزيرة البلقان فقتنوا البلاد الاغريقية . اما ما حدث هؤلاء القوم وما آل اليه امرهم في كل بقعة نزلوا فيها فذلك يتوقف على ما لاقته كل طائفة منهم وما صادفته في طريقها

فهم طبعاً صادفوا قوماً كانوا مستقرين على معاشهم واجتماعهم فكان تاريخهم بعد ذلك يتوقف على عدد من اتصلوا بهم واخلاقهم وعلى درجة اندماج كل فريق بالآخر . وكانت نتيجة ذلك خليطاً من السكان كانت فيه كفة العنصرين بين الرجحان والهبوط اما الذين هبطوا على بلاد الاغريق فانهم وجدوا تمدناً ارق من تمدنهم من حيث

الاجتماع والفنون اذ كان في الاغريق قوم قديمو العهد بثلث البلاد ذوو خلقة مغايرة خلقة من غزوهم اشد منهم سمرة واقصر قامة واضعف بنية . كان هؤلاء القدماء يسمون البلاسيين (Pelasgians) . فاختلط اول من نزل من المهاجرين بهؤلاء القوم اختلاطاً شديداً فانهم جعلوا لغتهم اليونانية هي السائدة وكذلك دينهم ولكنهم مع ذلك اقتبسوا كثيراً من خواص البلاسيين وملكاتهم ونقائصهم وشيئاً غير قليل من معتقداتهم . وهذه اول طبقة من الاغريق وهي لا ريب طبقة مختلطة الاجناس . ثم اتى من بعد ذلك مهاجرون من جنس السابقين فدخلوا البلاد ولكنهم لم يتأثروا في مجموعهم كما تأثر من سبقهم بل حافظوا على جنسيتهم وعوائدهم وحدودهم اكثر مما كانوا عليه في ماضيهم وهذا سبب عظيم لاختلاف اغريقي الجهة الواحدة عن اغريقي الاخرى ولا شك في ان اغريقي الايونيان ومنه اغريقي اثينا — يمثل نتيجة الاختلاط بين العناصر التي نجمت عن الغزوات الاولى . بينما الاغريقي الدوري — الذي هو ممثل في الاسبارطي — يصور لنا العنصر اللاحق المثقف الاصل

يقول المؤرخون العمرانيون ان القوم الذين نزلوا في الشمال كانوا اقوى بنية واجمداً اخلاقاً على انهم لم يكونوا مشهورين بسرعة خاطرهم او لطافة غرائزهم الفنية وطبائعهم الاجتماعية بل كانت هذه الصفات متوفرة في اهل الجنوب البلاسيين القدماء . ولما كانت اتিকা بين الاثنين هي التي كانت تأوي هذا الجنس الاصلي بنسبة كبيرة بين سكانها فلا عجب ان نرى الاثينيين اكبر الجميع حظاً في المسائل الفنية والاجتماعية

واذ كان بحثنا هو عن اخبار اثينا فلما نريد بذلك ما اخصت به هذه المدينة في عصر رقيها وسموها . وان ما يجله 'المؤرخون' من السنين من تاريخ اثينا ليقرّب من الف عام طراً فيها من الثقلبات والتغيرات في اخلاق القوم واحوالهم ما لا يعلمونه حق العلم . وان ثقلب الحوادث في سالف العصور لم يكن بالسرعة المعهودة في ايامنا هذه حتى ان الازياء كانت تحافظ على طبيعتها وشكلها زمناً طويلاً . وان اثينا التي عهدها وشاهدها القديس بولس في دولة الرومان لم تكن اثينا التي يعرفها بريكليز واثلاطون وديموستينز قبل ذلك باربعة قرون او خمسة نان بناء الاكروبوليس وما اشتمل عليه من مظاهر الابهة والمجد لم يدرس لذلك العهد وكانت الديانة باقية على حالها من الوجهة النظرية ولم تغير المباني الشاهقة والعمارات الشاحخة الفاخرة منظر المدينة الخارجي ولكن الامة الاثينية انحطت اخلاق رجالها وتبدل نظامها الاجتماعي . والمقصود من حديثنا هذه الليلة هو تصوير الاثينيين وحياتهم على ما كانوا عليه ايام مجدهم ونشاطهم وطهارة صفاتهم واخلاقهم من المفاسد والنقائص . وبتدئ

هذا الدور بوجه التقريب من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد الى غزوة المقدونيين او من عام ٤٤٠ الى ٣٣٠ قبل الميلاد . وكانت معاقل القوم في ابان هذا الزمن في منتهى المنعة والتحصين وكان بناء البارثون والبروسلاس قد تمّ تشييدهما (في الاكروبوليس) . وقد كست يد النقاش الشهير فيدياس المدينة جلالاً وعظمة وابهة . وكانت سوفوكليس ويوروبيدس مشغولين باخراج مؤلفاتهما العديدة بايداع الروايات الحزنة (تراجيدي) وارستونائيس بنشر رواياته المضحكة (كوميدي)

في هذا العصر ايضاً نشأ سقراط رجلاً معروفاً بين الاهالي محبوباً منهم مشغولاً بالمجادلات في الاماكن التي يغشاها عامة القوم وفي منازل الخاصة . وتيوسويديس يكتب تاريخه الكامل . فلما مضت ايام هو لاء جاء افلاطون يلقي تعاليمه في اروقة المجمع العلمي وشرع ينشر مؤلفاته ومنشأته القديمة المثال واحاديثه الفلسفية التي بلغت منتهى الاحكام والاثقان فيما لا يدركه عقل الانسان رغماً عن كونها مفرغة في قالب الهزل والمجون . ثم ظهر اكرينوفون على مسرح الحياة الاثينية وتبعه الخطباء المفوهون المشهورون علي الثعاقب . ولقد بلغت الخطابة في اواخر هذا العصر اقصى درجات السمو والارتقاء بفضل بطلمي ديموستين وارثت الفلسفة بظهور ارسطو البعيد الغور ورأس الناظرين فيها . وصارت فنون النقش والتصوير والتزييق الى ابهى ما يتصور بفضل بركسليدز ولسباز

واذا نظرنا من الوجهة السياسية وجدنا ان اتيكا او اثينا كانت في احسن ايام هذا العصر رئيسة على كافة الطوائف اليونانية المتحدة فاثرت وغيت بما كان يدفعه هو لاء اليها من الخراج فبلغت سفنها الحربية المئات واصبحت اعماها الحربية في أعلى درجاتها . على ان اتيكا كانت صغيرة لا يتعدى طولها خمسين ميلاً ولا يزيد عرضها على الاربعين . ولقد بلغت في هذا القرن في نظامها السياسي والاجتماعي أتمّ واكمل شكل (ديمقراطي) ومن ثم سارت نحو الاشتراكية . ولقد كانت قبل هذا العصر خاضعة لارادة افراد اقوياء من الطبقة الارسطوقراطية ثم سقطت ايضاً بعد انقضاء القرن الذي نحن بصدده تحت اقدام المقدونيين الذين تلاهم الرومانيون حتى اصبحت لا نتمتع من حريتها الا بظلمها

فترى من ذلك ان القرن الذي قصرنا بحثنا عليه هو الذي كانت فيه اثينا متمتعة بالفخر آدابها وابهى فنونها وانقى افكارها وارقي فصاحتها واعظم مطامعها واكبر امانيتها لذلك سنجتهد في جعل اعتبار هذا العصر خالياً من كل الحوادث والعناصر التي حلت باثينا بعده وسنعمل على ان نقف بحثنا على الزمن الذي اختزنه هذه الليلة

أما المصادر التي استقينّا منها معلوماتنا فكثيرة وليس من الضروري ان نجتمع الشذرات المجردة والاشارات المطلقة والآراء المشتتة والافكار المبعثرة عن الحياة الاثينية والعقل الاثيني فان لدى المؤرخين كتب الاثنيين انفسهم التاريخية والمذكرات والروايات المضحكة والمزلية وتواريخ الاشخاص واحاديثهم وخطبهم في المجمع العامة ومجالس القضاء وكذلك ما سطره في الاخلاق والسياسة ولديهم فوق ذلك مذكرات عن حياة هؤلاء القوم العامة منها والمزلية أنشأها القدماء من الاثريين والمنفيين والسراخ ومن شاكلهم اولئك الذين كان في مكنتهم الاطلاع على ما فقدناه نحن من المؤلفات الادبية التي سطرها اهل العصور الثالثة على ان لدينا شواهد واقعية من بقاياهم التي لا يزال عددها في الازدياد بواسطة التنقيب والاكتشافات من ذلك كثير من الكتابات المخوطة في الاجمار وفي الاجداث عدد عديد من الآنية المزينة بما يصور لنا منظر حياتهم الحقيقية

ولا ندعى ان كل هذه الاشياء بمجموعها تمكننا من تصور هؤلاء القوم والوقوف على دقائق معيشتهم من حركة وسكون فلقد يكون بنا قصور في ادراك احوالهم وتصوير عيشتهم على الوجه الصحيح جداً ومع ذلك فعندنا كثير من المسائل نثق من صحة اعتقادنا فيها اذا بحثنا في شؤونها فليس ذلك من قبيل صرف الوقت في غير النافع فعلمنا بتناول حوادث هؤلاء القوم الواقعية واحوالهم وعوائدهم واغراضهم السامية وما كانوا يبغضون وفضائل حكومة (اتيكا) ونقائصها ومواضع الضعف في اهلها وسخافاتهم وموضوعات سرورهم وما كانت تجيزه شرائعهم وتبيحه الهيئة الاجتماعية عندهم

نشرع الآن في وصف اثنين للامام بها من حيث الاحوال الاجتماعية والعمرانية فنقول كان القدماء كافة مطبوعين في كل احوالهم على نحو ما يحيط بهم من المظاهر الطبيعية فكل عوائدهم واعمالهم وازيائهم وطعامهم ومساكنهم على مقتضى طبيعة ارضهم وهواء بلادهم بل كان معظم تقاليدهم الدينية جارياً كذلك مجرى المعاش من الوجبة المتقدمة على اناء في يومنا هذا نرى ان الانجليزي مثلاً يأكل من ثمرات الاميركان وفاكهتهم ولحوم استراليا وكذلك هو ينسج اقطان غيره من الممالك . وما ذلك الا لانه ميسور دائماً نقل هذه الاشياء من مكان الى آخر دون مشقة . ولئن كان القدماء يتجرون في محصولاتهم على قدر ما كان يتيسر لهم من الوسائل الا انهم كانوا يقتصرون غالباً على محاصيل ارضهم ومصنوعاتها وترى فوق ذلك ان اهل هذا الزمان منصرفون الى التقليد في طرق الحياة فيجد ان اهل البلد الواحد يشيدون المنازل على نفس الطراز الذي يشيد عليه غيرهم من اهل البلدان الاخرى الخالفة

لها في الاقليم وكذلك هم يفعلون في ملابسهم وما كلهم ومشاربهم ولم يكن القدماء كذلك بل كانت ثياب الرجل ونظام منزله واوقات عمله على حسب ما تقتضيه طبيعة الارض التي نشأ فيها وقد يكون ذلك من الاسباب الجوهرية في طول اعمارهم رغمًا عما كانوا عليه من النقص في علومهم الطبية

واذا شئنا ايها السادة ان نفهم العوائد الاثينية ونفقه حب الاثيني للهواء المطلق في عيشته العامة والمنزلية ومزاجه العقلي وميله للفنون الجميلة لزمانا ان نتعرف ارض بلده وجوها وهناك ادلة على ان الاقطار اليونانية كانت في الايام الخالية مملكة ذات غابات وحراج اكثر منها اليوم وكانت غزيرة الحياة قوية الانبات اشد منها في وقتنا هذا فلقد حدثت افلاطون في احدى صحفه عن سهل فسيح ذي اشجار باسقة تنبت على ضفتي نهر الاكياس في المكان الذي كان يرتاده سقراط وفيدراس للجلوس ولكن قد تبدلت اليوم الارض غير الارض واصبحت خالية من كل ذلك والراجح ان هذه الاشجار كانت مغروسة في بقعة ذات نصيب من التقديس ولنا في ريب من ان هواء تلك البلاد قد لطف على توالي القرون وتعاقب الايام حتى اصبح جافاً جداً وقد فصل تيوسيديدس وافلاطون القول تفصيلاً في وصف تلك البلدان وجودة تربتها وجمال منظرها

كانت الارض تنبت الزيتون والكرم والشعير والحنطة والعسل وكانت قطعان الغنم والمعزى والخنازير ترعى في التلال وكان القوم يستعينون في اعمالهم الشاقة بالثيران ومنهم الذي كان يشتغل بصيد الاسماك كما هو طبيعي في كل الممالك البحرية ولا يغرب عنا انهم ما كانوا يعرفون الشاي ولا البن ولا السكر ولم يكن جو اتيكا ملائماً لبقاء الزبدة دون حفظها بالثلج. من ذلك يتبين لنا مقدار ما كان للنبذ والزيتون والعسل من الاهمية عند اهل تلك البلاد وقد كانوا يسيغون النبيذ الممزوج — او المقتول في اصطلاح بعضهم — بالماء بدل الجعة فكان النبيذ بمثابة الشاي والقهوة عندنا والمسك كان السكر وزيت الزيتون مكان الزبدة وكانوا يستعملون الزيت في مصابيحهم وشموعهم. من كل هذا نعرف ان الرجل الاثيني كان بعيداً عن الجشع في الطعام وانه كان منقشفاً قنوعاً في تناول النباتات دون اللحوم وان جمع بين ذكاء الفؤاد وبساطة العيش ومن ثم يمكننا ان نفهم المظهر الصحيح لعيشة هذا الرجل اجمالاً وتفصيلاً على ان هاتين المزيئين لم تكونا نتيجة للاخلاق الشخصية عند القوم فقط بل هما نتيجة البيئة التي ينشأ فيها الواحد منهم

ننظر الان في تأثير هواء تلك البلاد على مزاج اهلها وطبيعتهم. اجمع الباحثون في

طبائع العالم على ان هواء اثينا جمع بين الصفاء والرقّة وانه اصح هواء في بقاع اليونان بل في العالم جميعاً فشتاؤها قصير غير ذي برد قارس وصيفها لطيف الحرارة بتأثير النسيم البحري فلذلك كان القوم يسرون في الطرقات حاسري الرؤوس حفاة الاقدام مرتدين باسبط الثياب وكان الرجل منهم يفضل ان يمضي سحابة يومه بعيداً عن منزله وقد كانت مراسيمهم ودور حكومتهم مجردة عن السقوف وكان الناس لا يستخدمون النار في منازلهم للدفع بل لانضاج الطعام فقط. اذا وقر ذلك في اذهاننا عرفنا كيف كان هؤلاء القوم يسعون الى التوفيق بين مطالب انفسهم وبين مقتضيات الطبيعة ولم يكن هذا المناخ قليل التأثير في ملكات الاثينيين واذواقهم من حيث الالوان والاشكال والبناء والنقش والتزويق فهذا بناء الاكربوليس وما شابهه من المباني الاثرية البديعة الفائقة في الجمال تشهد لتأثير هواء بلادهم فيهم

اعناد الاثيني من اول نشأته على الاشتغال بقطع الاحجار ونحتها فلما برز في هذا الفن وبانت عبقريته في النحت وبرع في النقش والتزويق كان لديه من الكائنات الطبيعية كلاحجار والرخام ونحوها ما يحقق له آماله ويقرب اليه امانه ولا شك اننا لا نستطيع درس مدينة الاثينيين وحضارتهم اذا لم نتعرف عيشتهم الاولى وطبيعة الارض التي كانت تؤتيهم بما يضمن لهم حياة بسيطة غير ذات ترف وهوأوهاذا الاثر الطيب في نفوس اهلها واجتماعها وما كان فيهم من الميل الى الفنون الجميلة وعدم الخلود الى الكسل والبطالة وتجافهم عن الملاذ

كانت اثينا متصلة بفرضتها (بيريه) بجدارين طويلين يرويهانهر الفيساس واليساس وعن غربها وشرقها تلال مرتفعات وحدائق ذات ازهار وكان الغرض من اقامة ذينك الجدارين ضمان المواصلّة في زمن الحرب وقد كان سمكهما ١٢ قدماً وارتفاعهما ٣٠ قدماً ويقدر عدد سكان اثينا على اختلاف طبقاتهم ٤٠٠٠٠ نسمة

وان من بواعث الدهشة والعجب ان تكون اثينا — تلك البقعة الصغيرة — ينبوع ارقى الادبيات والفنون والفلسفة وجميع التجارب الاجتماعية. كان في وسط اثينا بناء الاكربوليس الذي كان بيتاً مقدساً وبيت مال ومتحفاً وحصناً في آن واحد وكان فيها ايضاً مكان يقال له 'Agora' او المجمع او السوق فكان الباعة يضعون اوعية تجارتهم في ذلك السوق على انه كان معداً ايضاً للمقابلات ومعروضات الجمهور فكانه يشبه سوق عكاظ عند العرب في الجاهلية وكان هناك ايضاً بناء البارثون ومعبد الظفر وتمثال اثينا وهناك مرتفع آخر من الارض

معد للاجتماعات العمومية حيث يقصده الاهالي لاستماع من يقوم بينهم من الخطباء . اما مدافنهم وحدائقهم فكانت في الضواحي خارج سور المدينة . واهم ضواحيها بقعة سيراميكاس حيث بستان الاكاديا الذي كان به جمنازيوم ومزارع وفساقي . ولما كان هذا المكان مقر افلاطون لدروسه الفلسفية اطلق اهل هذا العصر من الاوربيين اسم اكاديمي على الجامع العلمية . وكان عندهم جمنازيوم آخر في شرق نهر اليساس يقصده رواد الفلسفة وطلابها لاسيما ارسطو . وقد بني بعد ذلك مسرح التمثيل وقاعة الاغاني Odeon . وكثير من المعابد والهياكل وكذلك وار البورصة

عبد الرحمن زهدي

سنأتي البقية

(١) العناية بالاطفال

قال احد علماء الاجتماع : ان ارتقاء الشعوب وتقدمها في الحضارة والعمران يحكم عليه طبقاً لعنايتها بصحة الاطفال . هذه حقيقة ساطعة وحكمة بالغة جديرة باعتبار الحكومات لما يترتب عليها من سعادة العباد وارتقاء البلاد اذ ان وقاية الاطفال من الامراض الفتاكة هو من اعظم دعائم المدنية بل هو ركن من اركان القوة . وقد فقه اهل الغرب كل هذه الامور ولا سيما بعد ما ظهر في بعض بلادهم ان عدد الوفيات يزيد على عدد المواليد وذلك لسعي فريق كبير من المتزوجين الى اقلال نسلهم طالبين تخفيف نفقات الاولاد ومزيجات تربيتهم عن عائلتهم مدفوعين الى ذلك بتيار الحضارة العصرية التي تشمل على كثير من السيئات كما تشمل على المحامد والحسنات

فبعضهم كالاميركيين فرضوا الضرائب على العازبين والمتزوجين الذين ليس لهم بنون . واعطيت الجوائز والمساعدات المالية للوالدين الذين رزقوا اولاداً كثيرين وقد دلت التجارب على ان هذه القوانين بالرغم عن شدتها اتت بفوائد عظيمة حتى ان البرلمان الفرنسي قام منذ زمن ليس ببعيد يقترح على الحكومة في احدى جلساته ضرب مثل هذه الضرائب على ان ما نشاهده في ايامنا هذه من الاهتمام بامر الاطفال ليس شيئاً يذكر بالنظر الى ما كان يفعله القدماء حرصاً على النسل وحفظاً لصحة جسمه . فقد روى لنا التاريخ عن اهل سبارطه انه كان محتماً على كل فرد من افراد الامة رزقه الله مولوداً ان يأتي به الى لجنة مؤلفة

(١) من خطبة لمحضر الدكتور امين دمر القاهما في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في ٢٦ يونيو

من العلماء والاعيان للكشف عن مولوده فاذا كان سليم البنية قوي الجسم خالياً من الامراض الظاهرة ليس فيه عاهة طبيعية خلقية اعنت الحكومة به وانفقت عليه واعطت اهله مساعدة مالية للاعناء بتربيته . واما اذا كان نحيف الجسم ضعيف البنية وفيه آثار مرضية ظاهرة قد تضره في صحته رمية في هاوية واغت اهله ووطنه والهيئة الاجتماعية بأسرها عن الاهتمام به على غير طائل . فكان حكم الموت ينفذ في هؤلاء النساء لجرم اقترافه سواهم ولأنهم ولدوا في هذا العالم ضعاف الاجسام فعدم الاقدمون غير قادرين على الخوض في معمران الحياة . ومع ما في هذه العادة من الممحية والاستبداد لانه لا يجوز للانسان ان يقتل اخاه الانسان فقد اتت بفوائد لا تنكر . ونبع في مدينة سبارطه العالم والطبيب والجندي وضرب المثل بقوة هذا الشعب الباسل ونشاطه

اما في عصرنا عصر التمدن الذي تغلبت فيه عواطف الانسانية الشريفة والغيرة الاجتماعية الصادقة . فقد فكر فضلاء القوم في افعال الوسائل للحصول على الضالة المنشودة ورأوا التمسك بالمبدأ الفلسفي القديم القائل بمنع الضرر قبل الوقوع فيه او منع السبب انشاءً للنتائج . ولهذا نرى من اهل الغرب اهتماماً عظيماً بالبحث عن اسباب كثرة وفيات الاطفال وطرق مقاومتها فانشأوا لذلك الجمعيات العديدة لمقاومة الفحشاء وتخفيف الامراض المسببة عنها ومقاومة السل الرئوي ومنع تعاطي المسكرات وكل ما ينشأ عن هذه الامراض حفظاً للنوع الانساني . وغني عن البيان ان المصاب بهذه الامراض يكون نسله بعد الزواج ضعيفاً مستعداً للاصابة بهذه الامراض او مصاباً بها

عرفنا ما فعله اهل الغرب والوسائل التي يبذلونها للحصول على اشرف غاية واعني بها الاعناء برجال الغد فما الذي فعله اهل الشرق عامة وخصوصاً اهل القطر المصري ؟ ان عدد المولودين في هذه البلاد في ازدياد مطرد والحمد لله وليس هناك ما يدعو الى القلق والاضطراب اما عدد الوفيات ومعظمه من الاطفال فعلى حال لا ترضي ولا يزال كثيراً جداً بالرغم عما بذله اهل الفضل والمروءة لتقليله . ونرى ان النجح دواء لهذا الداء الاجتماعي الخطير هو شرح اسباب كثرة وفيات الاطفال وتداركها بالوسائل الفعالة ولكن هذا لا يتم الا برأى العام وثقافة عقول الافراد بالقاء المحاضرات الادبية الصحية وتوزيع النشرات والابحاث على صفحات الجرائد والاكثر من الكلام في هذا الموضوع الجليل

فالواجب علينا وقد علمنا خطورة هذا الموضوع وضرورة الاهتمام به ان نبحث الآن عن الاسباب الرئيسية التي تذهب بحياة الالوف من الاطفال والوسائل الواقية منها

كل حي يلد حياً على مثاله طبقاً لاحكام الوراثة وهذا ما يشاهد في النوع الانساني فان كان مصاباً بمرض عضال معدٍ او عادة ذميمة لا بد وان تنسرب جراثيمه الى نسله وذريته كالسل الرئوي والزهري وتعاطي الكحول وما شاكل ذلك . ولكن هناك امراضاً اخرى لا تدخل للوراثة فيها بل هي اكتسابية محضة تنتج عن خرق الانسان لحرمة الشرائع الصحية وعدم العناية بتربية الاطفال وهذا ما أريد ان اتكلم عليه . اما عدم العناية بتربية الاطفال وازدياد وفياتهم كما سأبينه فناشئ عن جهل الوالدين لاصول التربية الصحية . اما لاغفال اتباع القوانين الصحية كالنظافة والاستحمام والاعتناء بالملابس وما شاكل ذلك واما لسوء الارضاع . وسامسب الكلام على هذين الامرين واشفعهما بالكلام على التدابير الصحية الواجب اتباعها للوقاية من الامراض الفتالة في دور الطفولية

السبب الاول

في كثرة وفيات الاطفال . جهل الوالدين لاصول التربية الصحية

كيف يكون ذلك ؟ استمحيكم ايها السادة الكلام عن الاحوال التي يشاهدها الطبيب في هذه البلاد والحقائق الحزنة التي يجب التنبيه اليها لاصلاحها فاقول اذا رغبت في ان تعلموا شيئاً عن اعتناء السواد الاعظم من اهل الشرق بصحة اطفالهم فلا يكلفكم ذلك عناء كبيراً انشأ اهل البر والاحسان في اماكن مختلفة من هذه المدينة التي يسمونها عروس الشرق عيادات مجانية لمعالجة المرضى عموماً والاطفال خصوصاً واخص بالذكر منهما مستوصف السبع بنات ومستوصفات جمعية رعاية الاطفال

اذا سافنا القدر الى الاحياء التي فيها هذه العيادات المجانية فماذا نشاهد ؟

نشاهد جيشاً عرمرماً ومعظمه من النساء الوطنيات حاملات على اذرعهن اطفالهن طلباً للاستشفاء وندھش عند ما نرى القذارة التي تظهر على وجوه هؤلاء الاطفال وعلى ملابسهم يأتي اهلهم بهم الى الطبيب ويناولونهم قبل الحجيء بهم قرصاً من (الطعمية) او قطعة من الخبز او الفطير او شيئاً من الفاكهة ومعظمهم او كلهم مصابون بمرض واحد هو الحمى المعدية المعوية وعوارض مرضهم الوحيد هي القيء والاسهال وان اردتم ان تعلموا سبب هذه الحمى فاجيبكم انها ناشئة عن سوء العناية بصحة الاطفال

واذا طلب الطبيب الكشف عن هؤلاء فهناك الطامة الكبرى . انظروا ماذا يشاهد تاخذ الام تنزع ملابس طفلها مبتدئة بالقماط (اللفة) اذا كان الطفل حديث السن فالحرام نقفطان فصديري فقفطان آخر فالقميص ونزع هذه الملابس يستغرق عشر دقائق ان لم

اقل اكثر من ذلك ولو اقتصر الامر على هذا لمان ولكن هذه الملابس على كثرتها تكون
 فذرة جداً حتى لقد تتصاعد منها روائح كريهة لا تطاق . وهذا لان العادات الشائعة بين
 الجمهور الاعظم من الوطنيين تحظر على الوالدين غسل طفلهم بالماء والصابون قبل بلوغه الاربعين
 يوماً واذا كان والده او والداه مصابين بالزهري او التشویش فلا يجوز قط غسله بالماء او
 ملامسته له قبل بلوغه السنتين من عمره كان الماء والتشوش ضدان لا يجتمعان او كان القذارة
 تقي من الامراض والنظافة مجلبة لها

لقد حان الوقت لان نفلع عن هذه الخرافات التي ما انزل الله بها من سلطان ونسير طبق
 القوانين الصحية التي قررها العلم الحديث ونعلم حسنات هذه وسيئات تلك ونغرس في نفوس
 اطفالنا رغماً عن سنهم العوائد الحميدة التي تمكنهم من الدفاع عن انفسهم ونقيم شر الامراض
 لان من كان يستطيع مقاومة المرض قاومه وسلم منه والعكس بالعكس طبقاً للسنة الطبيعية
 سنة بقاء الافضل والاختيار الطبيعي

اقسم لكم ايها السادة اني سمعت مراراً باذني آباء يعزون انفسهم بوفاة طفل لم بقولهم
 «ذهب طفل يرزقنا الله غيره» . هذا طفل لا شعور له ولا يرجى منه نفع الان فوته لا يعتد
 به . فمثل هذه الاقوال الساقطة تجرح قلب الانسانية اذا لم يكن لما تأثير في قلب الوالدين .
 اهكذا نعامل هؤلاء الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا قوة ؟ ومن يكفل ان الله يرزقنا طفلاً
 بدلاً من الطفل الذي توفي بسبب اهمالنا . ومن يكفل ان معاملتنا للثاني تكون اقل قساوة
 من معاملتنا للاول . أيرجى بعد ذلك فلاح لقوم هذا مبلغ اخلاقهم

نسلم ان الطفل هو رجل الغد فلماذا لا نعامله معاملة الرجال ونحن لا نعلم ما سيكون من
 امره في مستقبل الايام . ورب طفل ضعيف الجسم حقير ينفع وينفع اهله ووطنه باسمه
 فالطفل كالنبات ينمو نمواً سريعاً ويأتي بثمار جنية

علمت النتائج السيئة التي تعود على الطفل بسبب جهل والديه واغفالها القوانين الصحية
 فلنشرح الآن التدابير الصحية الواجب اتباعها لحفظ صحة الاطفال

نظافة الطفل

ان مفرزات الطفل من بول وغائط تنقذ في الاشهر الاولى من العمر وهو في اقسطه
 فيجب ان ينظف جسمه مراراً وان تغير اقسطه حالاً بعد الافراز لانه اذا لامس البول او
 الغائط جلده وقتاً طويلاً يهيج فيصير لونه شديد الاحمرار وكثيراً ما يشقق ايضاً
 اما طريق التنظيف فتكون بغسل القسم الظاهر من الجهاز التناسلي البولي بفوطة مبللة

بالماء الفاتر ويمسح الجلد مسحاً خفيفاً من غير فرك ويذر عليه مسحوق صفي ناعم (بودره)
حمام الطفل — اجمع الاطباء على وجوب غسل جسم الطفل كل يومياً في العام الاول بتمامه
وهذا الغسل عظيم الفوائد ولا سيما في البلاد الحارة ولا أخشى اذا قلت انه ضروري جداً في
هذا الثغر بالنظر الى ثقل احوال جوه وفوائد ذلك ظاهرة في البالغين
نظافة عيني الطفل — يجب ان تغسل بماء البوريك بضعة اسابيع بعد الولادة لانقاء شر
الرمد . اما اذا اصاب الطفل برمد في عينيه فيجب استشارة طبيب اختصاصي بامراض العيون
بلا توان ولا تهامل اذ كثيراً ما يشبب عن هذا التهامل فقد بصر الطفل
ملابس الطفل — ترى ان خير الملابس ما قل فيقتصر على استعمال القميص والخزام والقفطان
والمئزر ويضاف اليها صدرية صوف في فصل الشتاء . اما الاحذية فلا تزي ضرورة كلية لاستعمالها
الآ اذا أخرج الطفل للتنزه وكان ذلك في الشتاء . اما في المنزل فلا لزوم لها على الاطلاق
الخروج بالطفل للتنزه — يجوز الخروج بالطفل بعد انقضاء الاسبوع الاول في فصل
الصيف وبعد الاسبوع الثاني في الربيع والخريف واما في الشتاء فيمتنع الخروج بالطفل مدة
الشهر الاول بتمامه

السبب الثاني

في كثرة وفيات الاطفال . سوء تدبير الارضاع

كل طبيب مارس معالجة الاطفال بضع سنوات في القطر المصري لا يسعه الا ان
يحاهر بالحقيقة التالية الحزنة :

ان الموت يفتك باطفال المصريين فتكاً ذريعاً خلافاً لاطفال البلدان الاخرى في فرنسا
مثلاً نجد عدد وفيات الاطفال الذين لا يتجاوز عمرهم العام الواحد ١٦٧ في الالف من مجموع
الوفيات كلها و ١٦٥ في الف ولادة . اما هذه النسبة في القطر المصري فحزنة للغاية اذ هي
بين الاطفال الوطنيين ٣٧٢ وفاة في الالف من مجموع الوفيات كلها و ٢٨٨ في الف ولادة
واذا يبحثنا عن الامراض التي يموت بها الاطفال لمعرفة اشدها فتكاً بهم نرى بوجه
التقريب من كل الف وفاة

٥٠٠ بالاسهال

١٥٠ بامراض الجهاز التنفسي

١٥٠ بالنحول

٥٥٠ بالامراض التي تنتقل بالعدوى

٢٥٠ بالسل الرئوي

١٢٥ بامراض مختلفة.

فيبين مما تقدم ان عدد وفيات الاطفال بالاسهال عظيم جداً ومن الخطأ اسناد هذه العلة الى اشتداد الحر وبروز الاسنان بل ان السبب الوحيد لهذه العلة الجارفة هي عدم انتظام الارضاع فزوال هذه الآفة موقوف على اعناء الوالدين بارضاع اطفالهم فيدرون عنهم شر الاسهال المميت

ومن الفضائل الاجتماعية السامية التي تحلي آداب المرأة الزادة والتفاني في عمل الخير ذلك ان تقوم بالخير نحو طفلها لمجرد نفعه وحبا بصحة وحسن مستقبله لا لشيء آخر . فاذا ارادت السيدة ان تقوم بواجب الرضاعة المقدس ولا أخاها تمتنع عن اداء هذه الوظيفة السامية وجب عليها ان تعني بطفلها ولا تكل الى غيرها وظيفته تغذيه لاسباب تافهة اغفل ذكرها . اذ ان الله من علمها بحجة جيدة وجعل ثديها يدران لبناً غزيراً مفيداً للقيام بهذه المهمة الشريفة . ولتعلم ان هذه الوظيفة محاطة بخاف ومخاطر كثيرة لا يدرك اهميتها ولا يتدارك وقوعها الا قلبها الحنون الرؤوف

قد علمنا الاخبار ان السيدة الشرقية توجه عنايتها وتبذل مجهودها لكيلا يسمع لولدها صوت ولا صياح ولا بكاء فلا يزعم راحتها نهاراً ولا نومها ليلاً . وان يكون آله صماء يديها لا حراك له . واذا صاح او بكى فاقرب شيء اليها لتسكين اوجاعه وآلامه اعطاؤه ثديها بلا حساب ولا نظام . وكيف تمنع ثديها عن فلذة كبدها في كل ثانية غير مكترثة لما تجره عليه من الامراض القتالة كالنزلات المعدية والمعوية التي تنتج من ارتباك وظائف الحضم وعدم هضم الطعام . واذا دعي الطبيب واثار يمنع كل غذاء عن الطفل لمدة معينة واستبداله بجرعة كذا وماء كذا فلا تمالك سيدة المنزل من اظهار غيظها ودهشتها منادية بالويل والثبور وعظائم الامور غير مبالية بنصيحة الطبيب فثانة انه يريد لطفلها الموت العاجل

ومن المضحكات المبكيات ان السواد الاعظم من الامهات يعتقد ان الاكثار من الارضاع او الطعام يجلب الصحة والعافية للاطفال وان الاعتدال والحمية الموقته يقود الى المات

واغرب من ذلك كله ان نرى السيدة العاقلة المتعلمة التي احزرت من العلوم العصرية خطأ وافرأ فضلاً عن الجاهلة والامية تجهل كل هذه الامور ولا تؤثر فيها نصيحة الطبيب فهي تعني بارضاع ابنها الاعناء التام وتستمر على اعطائه ثديها الى ما بعد السنتين من عمره وهي مقتنعة ان اللبن هو افضل غذاء للاطفال ويا ليتها تقتصر على ذلك بل تناول رضيعها كل

الاطعمة التي تتناولها هي نفسها حتى «المغلطات» التي اشتهر بتحضيرها المطبخ الشرقي «والخواق» التي يلذ تعاطيها في البلاد الحارة وكثيراً ما جاهدت لابطال هذه العوائد المضرة ولكن بلا نتيجة والطبع غلاب . ولولا خوفاً من التطويل لابنت لحضراتكم آفات الارضاع الغير المنتظم والامراض التي تنتاب الاطفال بسبب عدم انتظام الارضاع ولا سيما في البلاد الحارة . ولما كانت الرضاعة من المسائل الحيوية التي لما اعظم تأثير في صحة الرضيع اقول عنها ولو بالايجاز ما يلي

للرضاعة طرق متباينة واحوال مختلفة وافضلها موافقة على ما نظن للبلاد الحارة كصر الطريق التي سار عليها الاستاذ الشهير «بودين» في مستوصف الرضع في باريس فأتت باحسن الفوائد وانفعها لان نمو الاطفال ظل سائراً بكل انتظام وصارت امراض الجهاز الهضمي نادرة جداً ولم يعد يموت طفل بالاسهال . ذلك ان الغذاء الاساسي للاطفال في العامين الاولين من سنهم هو اللبن «الحليب» ومستحضرات اللبن وهي التي يسميها الاستاذ «بودين» شوربا باللبن واليك بيان ذلك

في التسعة اشهر الاولى لا يعطى للرضيع الا لبن والدته وتكون مرات الرضاعة سبعاً في النهار والليل منها ست في النهار وواحدة في الليل ففي النهار يرضع كل ساعتين ونصف او ثلاث مرات . هذا في الاشهر الاولى من سنه وعند ما يبلغ الرضيع الشهر السادس والسابع ينقص عدد نوب الرضاعة من ثديي والدته ويعطى بعض الاطعمة الاخرى المحضرة باللبن وبعض المواد النشوية بالكيفية الآتية

يضاف الى غذائه بعض المساحيق النشوية كدقيق الارز والبطاطس والارروط . وبعد انتهاء السنة الاولى يضاف اليها دقيق القمح (الغلة) او الشعير او الذرة انما يشترط بصنع هذه الاطعمة ان تضاف كمية قليلة من هذه المساحيق الممزوجة بالماء مزجاً تاماً الى مقدار كبير من اللبن بحيث يكون هناك طعام سائل ثم يضاف مقدار كبير من المسحوق كما زاد الطفل قوة ونمواً

اما انواع الشوربا المصنوعة بمرق اللحم او عصير اللحم فممنوع اعطاؤها للرضيع على الاطلاق اولاً لان ما فيها من الغذاء قليل بالنسبة الى ما في الاطعمة المشار اليها (مائة جرام من اللبن تعادل كيلو جرام من مرق اللحم) . ثانياً لانها قد تحدث ارتباكاً في وظائف الهضم . ثالثاً لان تعاطيها يكره الرضيع بتناول الاطعمة المصنوعة من اللبن

اما البيض فيجب منعه لانه قلما يتيسر وجوده جديداً في المدن والعواصم ولان معدة الطفل لا تقوى على هضمه

بَابُ الْمُنَظَرَةِ

الترك والعرب

جواباً على اقتراحات الباحث العثماني صاحب مقالة « البلاد العربية » المدرجة في المقطع الاغر تقول :

بما ان عنصري الترك والعرب هما الركن الاساسي للمملكة العثمانية اي مملكة الشرق الادنى التي علمها الهلال كما ان الشمس هي علم الشرق الاقصى فاشترك هذين العنصرين معاً هو الدواء الوحيد لهذه المملكة التي اخرها تفرد العناصر ومناظرتها . على ان الترك اقتبسوا دينهم وشريعتهم وآداب لغتهم من العرب فامتزاج هذين العنصرين حسب مبتغى السلطان سليم العثماني يجعل لغتهما رسميتين تجاه الامة نتوحد بالتماهي نظراً لتقارب مباديهما لفظاً وكتابةً واما الوظائف ملكية كانت او عسكرية فتكون متساوية بين جميع العناصر بالاستحقاق . وهذا الجمع بين مدنية الاتراك ونشاطهم وعلوم العرب وبسالتهم يشيد مملكة من اعظم ممالك العالم حسبما اشرنا اليه بمؤلفنا الفرنسي الحديث « الحل العقلي للمسئلة الشرقية » الذي وضعناه هدية لرجال سياسة الشرق والغرب

بيروت

اللغة العثمانية

قرأت مقالة الباحث العثماني ومقالة الباحث السوري في الجزئين المتتاليين من المقتطف وتمنت موضوعها في اختيار اللغة الاكثر موانقة وكفاية العثمانيين . فعن لي ان اتشبه بذيئك الفاضلين واذكر ما اره ايضاً فاقول :

اذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى فضل الفتح والتأسيس فالرضاء باللغة التركية واجب غير اننا نكون حينئذ جعلنا الشعب العثماني على درجتين احداها حاكمة والاخرى محكومة فيكون العنصر التركي على الدرجة الحاكمة وسائر العناصر في اخلافتها على الدرجة المحكومة . ولكن هذا يخالف غرض الدستور العثماني ولا يرضي به عنصر من العناصر . ثم ما فائدة

الاستمساك بمجد تاريخي لا فائدة وراءه؟ نحن اليوم في حاجة الى مجد يبقى وتصيبنا فائدته
واذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى بقاء النوع فلا يرضى عنصر من العناصر ان يتطوى
سجله ويحى من الوجود ذكره وان تبطل لغته. كل امة تريد لنفسها البقاء فالتركي والعربي
والرومي والالباني والارمني والكردي والقوقاسي وغيرهم كلفون بلغاتهم كلهم بعصيتهم. فلا
حيلة في حمل قوم على الرضاء بلغة بدلاً من لغتهم. ولا سبيل اذن الى الاتفاق على اختيار
لغة من اللغات وهذا ايضا محال

ولكن من اين لنا ان اختيار لغة من اللغات التي تبين كفايتها يفضي الى انحاء غيرها؟ لقد
عاشت الدولة العثمانية سبعة اعصر ولغتها اللغة التركية. بها تكلم ملوكها وبها كتبت صورها
وبها خاطب ابناؤها ابناؤها. فاية لغة اندثرت في تلك السنين الطوال مع ما كانت البلاد فيه
من عيش البداوة وفقدان وسائل النشر وكساد اسواق العلم؟ واليوم ونحن مستظلون بظل
الدستور. تمتعون بنعيم ولدينا ادوات كافية لطبع الكتب ونشرها وكل امة تجدد في حفظ
لغتها وتحليتها واجادتها فمن منا يخاف على لغته من الانحاء

فاذا نقرر لدينا ذلك وجب علينا النظر في اتخاذ لغة اصلية كافية لحاجتنا وافية برغائبنا
نجعلها لغة الدولة العثمانية. ولا ارى بل لا اخال ارى ان هناك لغة في لغات العالم كله تقوم
مقام اللغة العربية. ألا يا حسنهما من لغة. ما شاء الاديب قول جزل واسلوب هو السحر
والفاظ عذاب. ولو لم يكن عليها اهلها وفيهم امرها منذ مئات من السنين لبالت الكمال

وانما اوتر اللغة العربية على غيرها لاشياء وفرت فيها واخضت فهي لغة تقبل الابهاز الى
حد لا تسابقها اليه لغة اخرى وفائدة ذلك هو الاقتصاد في الوقت وفي الدراهم وكلاهما نقد.
وان رسالة تركية ببالغ الكاتب في الابهاز فيها يبلغ عدد كلماتها المائة ليتمكن ان تكتب بالعربية
بخمسين. فاذا كانت الرسالتان برقيتين وكان ثمن الكلمة الواحدة قرشين ربح صاحب الرسالة
العربية مائة قرش واغنم فرصة هي قصر الوقت الذي استغرقه تحرير رسالته وبات اشد ثقة
من صحة بيانه واصابة الغرض

واللغة التركية مستمدة ادبها وثلاثة ارباع كلماتها من اللغة العربية واللغة العربية لم تستمد
من اللغات الاخرى الا ما يقل عن العشرة في الالف. واكثر ادباء الترك يعرفون قواعد العربية
وان لم يتمكنوا من فهم الكلام العربي والوقوف على دقائقه. فتعلم اللغة العربية اقرب الى
التركي من تعلم اللغة التركية الى العربي. واذا كانت المصطلحات العلمية على اختلاف انواعها
مأخوذة من اللغة العربية يتبين للنصف مقدار الرجحان بين اللغتين

بقي علينا ان ننظر في امكان العمل بهذا . رأيت اتخاذ اللغة العربية لغة للدولة العثمانية .
ولقد يخال اكثر الناس ذلك صعباً وربما ظنه محالاً . وهو في اعتقادي اسهل مما يظن . ما على
الحكومة الا ان تعلن نيتها وتبين عن عزيمتها فتبداً يجعل تعلم العربية اضطرارياً في جميع
مدارسها وتنشئ مدارس ليلية لهذا الغرض يذهب اليها المأمورون فلا تمضي عشرات من
السنين الا وقد حصل المقصود ونيل المرام

وفي كتب اللغة العربية الجديدة اساليب هي من السهولة بمكان وكما قدمنا في اول هذه
البذة اخبار العربية لانة للحكومة لا يقتضي اهمال التركية ولا غيرها . هذا ما اراه وربما عدت
الى مقال يكون اوسع مجالاً فلينظره قراء المقتطف الكرام
ولي الدين يكن

منشور يصلح النفوس

حضرة الفاضلين العالمين صاحبي المقتطف الاغر

كنت اقرأ مقتطف شهر يوليو الجاري فاطلعت على جانب من « مقدمة بخنجر على
مذهب دارون » حضرة العالم الحر الدكتور شبلي شميل وقبل آخره بقليل استوقفت نظري
عبارة ان لم تكن هذه اول مرة سمعت مثلها ولو بالفاظ مختلفة ولكنها اتت في وقت خصوصي
فاستلفتني استلفاتاً خصوصياً وهاكم اياها « فاذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب
الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثراً لا يمحى الا في الاجيال المتطاولة
اذا تغيرت الاحوال فالتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر في الاخلاق (وانا
ازيد على ذلك وخصوصاً الاديان) اثر في العقول ايضاً لا يزول الا بمثل تلك الصعوبة الخ »
استوقفت هذه العبارة فكري فذكرتني المنشور الذي تحدثت به التلغرافات والجرائد
اخيراً وهو الذي كلف الصدر الاعظم سماحة شيخ الاسلام باصداره لجميع انحاء السلطنة بهرهن
فيه بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية مساواة المسيحيين باخوانهم المسلمين

تفنت اكثر الجرائد بفوائد هذا المنشور العظيم حتى يكاد قارئها يتخيل المسلمين
والمسيحيين العثمانيين متعاقبين نادمين على ما سبق من الاضطهاد والفظائع ناسين كل ثار
ضاربين صفحاً عن الاحقاد . اما انا وليتني محظناً في ظني فقد امعنت النظر طويلاً واجهدت
عقلي لكي يثبت لي حقيقة تلك الفوائد فرأيتني كلما ازددت تنقيباً وتدقيقاً بعدت تلك الفوائد
عني حتى كدت احسبها سراً

قلت في نفسي ان كان منشور من الحكومة يقوم نفوساً عوجتها قرون ويصلح اخلاقاً

تعفنت واستعصى فيها الفساد فهو كالادوية التي تنشر عنها اعلانات في الجرائد بانها « تشفي من جميع الامراض في مسافة عشرين يوماً »

وقد كنت اود ان ادع هذه الحادثة تمر كما مر عليّ غيرها دون ان اكتب عنها للجمهور لانني نظراً للشباب ارى اني قليل الاطلاع والاخبار ومن انا بازاء كتابنا الفطاحل ولكن كذا نزق الشباب ناعذروه وهاكم كلمتي ان رأيتم في نشرها اي فائدة عمومية فانشروها والا فاضربوا بها عرض الحائط ولا بأس من ذلك فمن السقطات المتواليّة يتعود مخيخ الطفل على وزن حركات اعصابه وتنظيمها الى ان يصير بعد قليل قادراً على المشي وحده

لدى حكومتنا العثمانية مهمتان احدهما دائمة وينظر فيها الى المستقبل البعيد واخرى موقته وينظر فيها الى الحاضر والمستقبل القريب . الاولى اعداد امة عثمانية جديدة حية راقية . والثانية اصلاح الجيل الحاضر من الامة بقدر الامكان انقاء لشربه وخوفاً من سقوطه سقطه قد يكون من ورائها الدمار فلا تنال حاضراً ولا مستقبلاً

اما الاساس المتين الذي تقوم عليه الامم وتنمو وتعيش فهو العلم الصحيح العلم الذي ينير الاذهان ويمنع تطرق الخرافات والخزعبلات اليها وبقاياها من التعصبات الدينية الذميمة التي اودت بام كثيرة وخربت مدناً وممالك باكملها واخرت المدنية اجيالاً

فالوقت والتعليم كفيلا باعداد امة المستقبل وما على الحكومة العثمانية الا ان تعمل بثبات لنشر العلم الصحيح بين جميع افراد الامة ثم تنتظر فقد لا يرى ثمرة انعاب الصدر الاعظم وباقي ابطال الامة الا احفادهم او احفاد احفادهم ولا اظن ان المنشور يرمي لهذا الغرض فهو بعيد عنه بمراحل

اما اصلاح الفاسد من الجيل الحاضر وهو على ظني المقصود بهذا المنشور فهو الامر الصعب او المستحيل . نفوس استأصل فيها الجهل واستعصى الفساد ليس من السهل اصلاحها فعلى عيون تلك الفئة المقصودة غشاء سميك من الاحقاد والتعصب الذميم لا يقشعه عنها منشور ولا مناشير

رجل اخنط دمه بكراهة كل طائفة غير طائفته فورثها عن والديه ورضعها مع اللبن من ثدي امه ثم سمعها مع اول لفظة منها وراها في عشارته وهو صبي وشاب وكهل وزاده منها ما لقيه منها عند الطوائف الاخرى غرسها الجهل وقواها الاحتكاك وانماها الظلم وفساد الاحكام رجل مثل هذا لا يرجي اصلاحه بمنشور . لا يرجي ان يمحي من ذهنه ما رسخ فيه من الاعتقادات الباطلة . لا يرجي ان منشوراً ينزله من مركزه الذي صورته له الجهل والخيال

بأنه عالٍ علوًّا شاهقًا عن مركز الطوائف الاخرى ليساوي تلك الطوائف التي تعود على اذلالها واحتقارها وهو معذور في ذلك لانه لا يمكنه ان يغلب على الطبيعة ولكن هل بسبب ذلك تترك تلك الفئة الحاضرة على حالها وتيأس الحكومة من اصلاحها . كلا فما لا يدرك كله قد يدرك بعضه انما لتبدي الحكومة بالاعمال لا بالاقوال نالقول قد يفتنع العاقل اما الجاهل فلا يقنعه الا العمل وقد لا يقنعه فيجب ان يضبط عليه ليطيع . لتبدي الحكومة بالعمل لتنشر العدل والمساواة بين جميع الطبقات فتنتخب ولاه ومأمورين عقلاء وتلاحظهم ملاحظة شديدة ولتضبط على المشايخ والقضاة والمعلمين والمفتشين والقسوس ايضا بيد من حديد ان لم يمكنها ان تنفعهم (واقناعهم اقرب الى المستحيل) ليعملوا على نشر المحبة والمساواة بين الجميع والضغط في مثل هذه الاحوال انيد من اطلاق الحرية التامة لان ضغط الحاكم العاقل اسلم عاقبة بكثير من ترك الحرية المطلقة لاناس لا يفقهون معناها واليك تاريخ بطرس الاكبر ونقدم الروسية وغيرها من الممالك اكبر شاهد . ثم لا بأس بعد ذلك كله باصدار مثل هذا المنشور واتباعه بعشرات مثله بل بمئات والوف وتكليف من يظن انهم يعملون وانهم هم قادة الافكار في بلادهم كالمشايخ والمعلمين والقسوس باذاعتها بين العامة في الجوامع والكنائس والمدارس فر بما ادى ذلك الى فائدة وقية وان كان لا يمكن اصلاح الماضي كله فقد يصلح او على الاقل يوقف الشر عند الحد الذي وصل اليه فلا يتفاقم الى ان يزول الجيل الفاسد و يأتي غيره

ولكنني اكرر ان واسطة الضغط في الاحوال الحاضرة اقرب الى الفائدة من واسطة التعاليم المجردة لان التسلط على الاجسام اسهل من التسلط على العقول قد وجدنا الطبيب الماهر في شخص فطاحل الرجال كعطوفة الصدر الاعظم وسماحة شيخ الاسلام والفئة الصغيرة التي مثلها ولكن اين الممرض الماهر اين من يفهم اوامرهم وينفذها بغيره ونشاط واين من ينتفع بها وقد استفحل فيه الداء

ان مهمة رجال الحكومة العثمانية الحاضرة في اصلاح الفاسدين لمن اصعب المهام فانها تستلزم عملاً دائماً وثباتاً مستمراً وصبراً وتؤدة ومداداة الحاضر بالحاضر . فالداء الواحد قد تختلف ادواؤه باختلاف الاحوال والزمان وقد يكون السم دواءً نافعاً

هذا قولي اذا كان الغرض الوحيد من هذا المنشور الاصلاح الداخلي اما اذا كان الغرض منه ايضا افهام اوربا والعالم المسيحي عموماً حسن نيات رجال الحكومة الاجلاء واطراحهم الاجقاد الدينية جانباً فنعم ما فعلوا اديب شاهين بالمالية

لا يعلم الغيب الا الله

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى على من له الملم بالعلوم الطبيعية وخصوصاً علم الفلك . ان نجوم السماء اراض بعضها اكبر من الكرة الارضية بالوف من المرات وهي مؤلفة مثل ارضنا من عناصر بعضها غاز مثل الاوكسجين وبعضها سائل مثل الزئبق وبعضها جامد مثل الذهب والفضة . وليس هذه النجوم او الكواكب في الحقيقة ارتباط ولا تعلق بالحوادث الواقعة على الكرة الارضية التي تحصل لبعض الملوك والوزراء والامراء والحكام واصحاب الجرائد وغيرهم ويقول علماء الفلك الحقيقيون ان علم الفلك لا دخل له في معرفة علم الغيب وان خمسة لا يعلمهم نبي مرسل ولا ملك مقرب كما جاء في القرآن الشريف « ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت »

ويقول الفلكيون ايضاً ان الانباء بحدوث الخسوف والكسوف في المستقبل هو بطريقة حسابية وهندسية مقررة في علم الفلك . كذلك الانباء بمواليد الالهة ومعرفة اوائل الشهور العربية وغيرها من الظواهر الفلكية . ولا يدعي الفلكي بمعرفة ما يحدث للدولة العلية او لغيرها من الدول . او ما يحدث للحجاج في الحجاز في هذا العام بل لا يعلم الفلكي ماذا يكون وقت سعده او نحسه في ايام معلومة قبل حلولها

هذا الشيخ محمود محمد الفلكي صاحب مجلة طوابع الملوك مع ادعائه بانه حاز قصب السبق في معرفة المستقبل من العلوم الغيبية لم يذكر في تقويمه (الاسرار الخفية) خسوف القمر الكلي الواقع ليلة الجمعة ١ جمادي الاولى (٤ يونيه الماضي) ولعله اعتمد ان الانباء بحدوث الهند والفرس تروج مبيع تقويمه اكثر من الانباء بحدوث الخسوف والكسوف

وهذا الشيخ احمد موسى الزرقاوي نشر كتاباً اسمه حديث الزرقاوي او ليلة في الفلك اثبت فيه ان الكرة الارضية ثابتة وغير متحركة وان النجوم ومنها الكواكب السيارة تدور حول الارض كما قال القزويني والفخر الرازي وغيرها من القدماء . وجاء الزرقاوي باعجب من ذلك حيث قال ان من اراد ان يشغل بالبورصة بافكاره فهو يخبره بما يحدث في المستقبل من معرفة اثمان القطن والقمح وغيره

ان الله عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو . فان كان الزرقاوي وصاحب مجلة طوابع

الملوك وغيرهم يمكنهم نفع غيرهم بمعارفهم الفلكية التي بها يتوصلون لمعرفة المستقبل حقيقة فلماذا لا يعرضون معلوماتهم على كبار الرجال من موظفي الحكومة المصرية او على اصحاب البنوك والسماسة وغيرهم ممن يهمهم حسن الاحوال في المستقبل لماذا لا يشتري الزرقاوي وصاحب مجلة طوابع الملوك وغيرهم من اوراق النمر التي تروج من اوراق اليانصيب المتداولة للجمعيات الخيرية في مصر واسكندرية

الامر المستغرب زعم هؤلاء ان علومهم بالمستقبل مقتبسة كلها من معرفة مواقع النجوم واقتران الكواكب وحولها في البروج الاثني عشر وهذا كله متعلق بمعرفة علم الفلك . وعلم الفلك ومعلومه ومتعلمه يشرأون من اقوالهم كلها
الاسكندرية

احمد السيد

صور الاشياء

حضرات الدكاترة اصحاب المقتطف الاغر

ان صور الاشياء ثابتة في الخارج — وليس في العين نور طبيعي لم يصلها من الخارج اثبات القضية الاولى — قال حضرة جميل افندي صدي الزهاوي في بحثه المدرج بعدد يوليو سنة ١٩٠٩ من المقتطف ما نصه

والحق ان الاشياء الخارجية ليست لما صورة في الخارج تنطبق على الصورة التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الا هذه الصورة التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرنى الموجود في الخارج قلنا انها هي الصورة الخارجية . اهـ . ولننقض ما ابرمه حضرة فبقول : ينبغي على عبارته ان صور الاشياء في العين ايضا غير ثابتة بل غير موجودة بالمرّة لانه اذا انتفى السبب وهو الصور الخارجية انتفى معه السبب وهو الصور التي ترسم على الشبكية والواقع بخلاف ذلك . وقد استدلل على دعواه بما لا يثبتها وهو اننا لانحس من المادة الا بقواها كاللون واللمس والطعم والرائحة وكلها اهتزازات في الاعصاب . وذكر اننا نرفع بأيدينا جسماً فنحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة وغمد اصبعنا مثلاً الى جسم فيانها الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة انتهى باختصار

ولنضرب صفحاً عن الطعم والرائحة والثقل لانها لا تدخل لما في تكوين صورة الجسم ولنبحث معه في لون الجسم وحجمه ونثبت انهما يمثلان له صورة ثابتة في الخارج ما داما ثابتين ولنبدأ

باللون فنقول : من المعلوم عند علماء الطبيعة ان الجسم الابيض يعكس جميع الالوان السبعة التي يتألف منها الطيف الشمسي بدليل رؤية القرص الملون بخطوط متجاورة تمثل الالوان السبعة ابيض امام العين عند ادارته بسرعة . والاسود يمتص الاشعة كلها فالسواد عدم اللون والازرق مثلاً يمتص جميع الاشعة ما عدا اللون الازرق فيعكسه وهكذا . ألم يكن ذلك كافياً لثبوت صورة الجسم الخارجية ما دام لونه ثابتاً ؟ ولننتقل الى الحجم فنقول : قد بين علماء الطبيعة ان من خواص الجسم كونه غير قابل للتدخل لانه يعرف بذراته والذرة الواحدة لا تقبل الانكماش وانما تغير شكل الجسم المكون من جملة ذرات ناشئة من تقارب ذراته او تباعدها وتسمى الاولى قوة الجذب والثانية قوة التنافر . فاذا كان متمتعاً بقوة الجذب بين ذراته صار صلباً كالبحر والحديد والثلج . فاذا تنافرت ذراته بسبب الحرارة صار سائلاً فاذا اشتدت الحرارة صار غازياً كالبخار . اذن فالجسم له صورة ثابتة في وقت معين وهو زمن رؤيته في حالة من هذه الحالات الثلاث . والذي يرسم على الشبكية ويراه الانسان هو صورة الجسم المطابقة لصورته في الخارج ولو لم تكن له صورة معينة في الخارج لما تميز بعض الصور في نظر الانسان من بعض بل لما وجدت بالمرّة كما اسلفناه . واذا قال جنباه ان العين ليست شاهداً عدلاً قلنا لنا شاهد عدل آخر وهو آلة الرسم (الفوتوغرافيا) التي لا تتأثر بالمؤثرات فتكون صورة طبق الاصل فثبت المطلوب

اثبات القضية الثانية — ذكر صاحب المقالة ان في العين نوراً ليس اصله من الخارج بل هو من الدماغ حيث قال : ونعود الى النور الذي يظهر اثره في الدماغ فنقول : اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنه الكثير من الفلاسفة ووفوه حقه من التثقيب . ولكن هناك انوار يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطه بالخارج او من غير ان يكون له مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يؤنوه حقه من البحث اهـ . والذي اراه انه هو النور الذي يرد من المرئيات يستعمل لاناارة الصور عند اغماض العين بعد انطباعها على الشبكية او عند النوم في حالة الرؤيا او تبرز هذا النور في الظلمة لاناارة الاشباح كميون السنابير . أما ترى ان بعض الحيوانات تبقى مطبقة العينين بعد الولادة بضعة ايام لا تبصر كالكلاب والسنابير . فتمثيل حضرته لهذا النور بما يظهر في عين الهر ونحوه في الظلمة لا يثبت المطلوب : لانه لو كان هذا النور في عينه من الاصل لما ولد مقفل العينين لا يبصر في النور ولا في الظلمة . اما وقد شوه ان الضوء الخارجي هو الذي يفتح عينيه ويملاًها نوراً كما يفتح ضوء الشمس عيون الترجس فلا مناص لنا من الحكم بان النور وصل الى عينيه من الخارج .

ولو كانت عين الانسان بها نور طبيعي لرأى الانسان في الظلمة بهذا النور ولما احتاج الى ضوء
من الخارج فلم يبق مجال للشك في ان النور بجميع انواعه تكسبه الاعين من اضواء هذا
الكون كما يكتسب القمر النور من الشمس ويرسله اليها لنهدي به في ظلمات البر والبحر
محمد علي الدسوقي
مدرس عربي بمدرسة بنها الاميرية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفة من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس
والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنعيم على كل عائلة

نقص في مدارس البنات

يجب اصلاحه

ولم ار في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

احترم الجدل منذ ايام في مجلس شورى الامة على تعليم البنات الاميرية فاختلّفوا رأياً
في امر ديني يرى كثيرون من العقلاء وجوب التساهل فيه ولكن فاتهم البحث في امر هو اولى
الامور بالاهتمام بل هو النقص العظيم الذي تحتاج مدارس البنات في هذا القطر الى تلافيه
سواء كانت اميرية او اهلية ويظهر هذا النقص لاول وهلة انه قليل الاهمية ولكن متى انضج
للقارئ الكريم انه هو السر في ارتقاء امة باسرها عقلاً وصحة جسم واقداً ما علم اهميته وشدة
الحاجة اليه

لم تبلغ الدولة الرومانية اوج العزة والمنعة والسلطان الا ببخودها الباسلة القوية الاجسام
ولكن هذه الجنود لم تحوز هاتين الصفتين العظيمتين الا بعد ما تنبه الرومان لامر من الاهمية
بمكان الا وهو ادخال فن الرياضة البدنية الى كل مدارس البنات والى حلقات كنّ يجتمعن
فيها حتى قيل انهم كانوا يعتنون بترويض ابدانهم اكثر من عنايتهم بترويض عقولهن فانجنبن
تلك الامة التي خلد التاريخ مجدداً وعظم بين الامم التي كانت معاصرة لها جلالها وقدرها

فكل امة في العالم في افتقار ماس ليس الى تهذيب فئاتها وتثقيفها بالعلوم فقط بل الى تقوية جسمها وجعلها قادراً ان يتغلب على الامراض لان لهذا الجسم القوى السليم نفعاً عظيماً في مستقبل تلك الامة ولا سيما اذا بقيت هذه الرياضة البدنية مثبته في اجيالها كثيراً ما نبشئنا البرق وتنقل الينا صحف الغرب ما يفعله النساء اللواتي يطالبن حكومة انكلترا وغيرها بحقوق يدعين بها زاعمات انهن قادرات على ادارة المهام كالرجال وان الرجال لا يرجحون عليهم عقلاً ولا يزيدن عنهم همة . فهذه الجرأة وتلك القوة لم يكتسبهما الا بتلك الرياضة البدنية التي تعودنها والنشاط الذي انحدر اليهن بسببها

عرفت الدول الاوربية والولايات المتحدة منافع تلك الرياضة الخلى ناذخلتها الى مدارس البنات وعينت لها الجوائز كما هي الحال في مدارس الصبيان هنا . ولكن هذه الرياضة ليست على مثال واحد فما ينفع منها فتاة قد لا ينفع فتاة اخرى بسبب مزاجها فلذا عينت معلمين ومعلمات خبيرات بها فينتقين لهن الالعاب التي توافي امزجتهن ويرتحن اليها والملابس التي تلائمن في اثناء اللعب . ولا يكتفين بذلك بل يعلمونهن تدبير المنزل ايضاً ويعدونه من اجل فنون الرياضة وانفعها

حدثت سيدة انكليزية مشهورة في عالم الكتابة قالت : رأيت سيدة انكليزية تدل ملابسا الفاخرة وحلاها العظيمة القيمة على انها من المثريات فلم يعجبني منها الا ظهور علامات الصحة على محياها الجميل . فسألت بعض معارفها عنها فقالوا ان ما تريده من امارات الصحة عليها سببه الرياضة التي تداوم استعمالها في منزلها . فسعيت جهدي حتى عرفت بها وسألتها عن انواع الرياضة البدنية التي تستعملها في منزلها وكنت اتوقع انها تذكر لي اسماء ادوات لعب جديدة اخترعت حديثاً ولكنني دهشت وعجبت لما قالت ان رياضتها لا تنعدي تدبير منزلها وجعلت نقص علي ما تعمله قالت ! ان مسح المائدة رياضة جيدة فلها تقوي الذراعين وتزيد التنفس فتنفع الصدر . ومسح الارض بالماء لاتفوقه رياضة نفعاً للجسم وكذلك الكس ونفض الغبار عن الامتعة . فعملي هذا فضلاً عن انه يكسبني صحة وعافية فانه يشرح صدري لانني ارى كل شيء نظيفاً ومرتباً في محله وعند ما امسح ارض المطبخ اشعر حقيقة بانني ربة منزل سعيدة . واذا قرع باب المنزل وانا امسح الارض بادرت فوضعت مئزراً وقابلت الضيف معتذرة . الى ان قالت ولا انكر عليك ان عندي خدماً ولكنني تعودت هذه الرياضة لما كنت اتعلم في المدرسة فاسر بها كثيراً

فهل يرضى آباء البنات وامهاتهن في هذا القطر ان نتعلم بناتهن في مدارس تدبير المنزل

حتى اذا صرن زوجات عملن بايديهم كما عملت تلك السيدة الفاضلة ؟
 رأينا في القطر في السنوات الاربع الاخيرة نهضة حقيقية الى تعليم البنات ولكن هذه
 النهضة لا يزال ينقصها ادخال فن الرياضة الى المدارس التي انشئت لمن وينقصها ايضا فن تدبير
 المنزل وكلاهما من الاهمية بمكان . ان الارض التي تلقي فيها بذوراً صالحة لا تخرج نباتها فيمنو
 ويزهو الا اذا كانت جيدة التربة تفتحها الشمس ويمر بها الهواء الذي يروض البنات فيمد
 جذوره في الارض . وحيوان البرية اذا حبس في قفص ليدجن ومن جسمه وضعف قوته
 لانه معتاد الرياضة في الحراج والغابات . فالرياضة واجبة للفتاة وجوبها للفتى وللحيوان الاعيم
 والنبات . فلماذا نهمل الاعناء بها في مدارس بناتنا واين نحن من الغربيين الذين نروم
 الاقتداء بهم في امورنا

يزايل هذا القطر في كل عام مئات بل الوف من اهله الى البلدان الاوربية وبينهم الشبان
 الذين استنارت عقولهم بنور العرفان ويعودون الينا وقد تشبهوا بالقوم في بعض عاداتهم من
 مستحسن ومستهجن ولكننا لم نر واحداً منهم كتب لنفع امته منبهاً اياها الى وجوب ادخال فن
 الرياضة الى مدارس بناتنا لنقول انه عرف سرّاً من اعظم الاسرار في ارتقاء الغرب . فن لي
 يبلغ صوتي هذا اليهم ليحققوا صحته ويعودوا الينا وفي صدورهم نهضة جديدة وهمة ماضية
 تلجئهم الى حث سراة امتهم عليه ودعوتهم اليه

وما لامشاحة فيه ان شبان هذا القطر المتعلمين الذين هم آخذون في الازدياد عاماً بعد عام
 يسعى الواحد منهم جهده لكي يتزوج بابنة متعلمة مهذبة الاخلاق فاذا بقيت مدارس بناتنا
 محرومة ادخال فن الرياضة اليها كانت العاقبة ولا شك ضعف النسل في الطبقة الراقية من
 اهله ولكن ذلك لا يظهر في الحال بل يستغرق ظهوره عدة سنين

فعلى نظارة المعارف التنبيه لهذا النقص وعلى الاباء والامهات ان يطلبوا منها تلافيه كما
 تلافئه في مدارس الصبيان

اما فن تدبير المنزل فالواجب على الاباء والامهات اطراح الصلف والخيلاء جانباً واجماعهم
 على وجوب ادخاله الى مدارس البنات لتجني الابنة نفعه متى صارت ربة منزل فان لم تطبخ
 يدها كانت خبيرة باعداد الطعام فتساعد الطباخ او تراقبه وان لم تمسح ارض مطبخها يدها
 فربما جاءها يوم عصيب تنظر فيه الى مسحة . وقس على ذلك سائر الاعمال المنزلية . على ان
 خير امرأة مدبرة هي التي تدير شؤن منزلها بيدها والسلام
 رحمه صروف

الجنين في شهور الحمل

يبتدى جنين الانسان بمرثومة صغيرة لا ترى بالعين لصغر هاشم يكبر رويداً رويداً ولكنه لا يبلغ حجماً يرى فيه الا اذا اتمَّ اسبوعين من عمره . ومتى بلغ عمره ثلاثة اسابيع صار حجمه مثل حجم النملة وظهرت فيه مبادئ الحبل الشوكي (سلسلة الظهر) والقلب والدماغ . ومتى بلغ عمره اربعة اسابيع صار مثل ذبابة الخيل في حجمه ويكون شكله حينئذٍ مثل دودة معقوفة فاذا بسط بلغ طوله نصف عقدة ويكون رأسه اكبر من سائر بدنه وتظهر فيه آثار عينية . وفي الاسبوع الحادي عشر تظهر آثار اضلاعه على صدره وظهره ويتكوّن قلبه ويكبر دماغه وتثبت يده ورجلاه ويصير طوله نحو سنتيمترين ولا يمكن تمييز الذكر من الانثى حينئذٍ

وحينما يصير عمره شهرين يبقى التمييز بين الذكر والانثى صعباً وتكبر عيناه ولكن لا تكون اجفانهما ويظهر منغراه ولكنه يكون من غير انف بارز وتظهر فمحة فيه جيداً ويكون رأسه اكثر من ثلث جسمه كله

وفي آخر الشهر الثالث تفتح اجفان عينية ولكنها تكون مطبوقة وتظهر جبهته ويظهر انفه ويمكن حينئذٍ التمييز بين الذكر والانثى ويصير قلبه يضرب بقوة وتبتدى الدورة الدموية وتبتدى عضلاته في التكوّن وتظهر اصابع يديه ورجليه ويصير طوله ١٢ سنتيمتراً وثقله ٢٥ درهماً الى خمسين

وفي الشهر الرابع تبتدى اعضاءه في الحركة فتشعرامه بذلك وهذا هو ارتكاض الجنين ويصير طوله من ١٥ سنتيمتراً الى ٢٠ وثقله من ٨٠ درهماً الى ٩٠

وفي الشهر السادس يظهر الشعر في رأسه وحاجبيه وتظهر رموش عينية ويبلغ طوله من ٢٥ الى ٣٠ سنتيمتراً وثقله نحو ١٤٠ درهماً

وفي الشهر السابع يتم بناء عظامه تقريباً ويكبر حجمه واذا ولد حينئذٍ فيمكن ان يعيش ولا يعيش اذا ولد قبلما يتم الشهر السابع الا اذا استعملت له وسائل غير عادية تمنع اختلاف الحرارة عليه . ومن الشهر السابع الى حين الولادة يزيد نموه وتزيد قوته حتى يصير قادراً على احتمال تغيرات الهواء اذا خرج اليه . ولا صحة ما يقال من ان ابن الشهر السابع اسلم من ابن الشهر الثامن والصحيح ان ابن الشهر الثامن اسلم لانه اكل بناءً وتأهباً للحياة . واذا اكثرت الحلبى من الاكل فقد يسمن جنينها جداً وتجد مشقة كبيرة والمأشديد في ولادته

وصايا صحية

إذا كثرت الطعام لسبب من الاسباب فتعبت منه فارح معدتك وامعاءك يوماً او يومين بتقليل الطعام جداً فيزول التعب وتعود اليك صحتك
إذا شعرت ببداة الزكام فاذهب الى سريرك حالاً واسترح فيه محافظاً على الدفء واكتف بالطعام القليل المغذي فتسلم من الزكام قبل حدوثه او قبل تمكنه منك
إذا كنت قصير القامة وارتدت ان تطيل قامتك قليلاً سنمترًا او سنتيمترين ففروض جسمك يوماً بعد يوم بالتعلق بشيء مرتفع او باسلوب آخر يطم الجسم مطاً من غير ان يخلع منفصلاً منه فانك اذا واظبت على ذلك طال جسمك قليلاً

إذا ظهرت في وجهك نقط سوداء فاصلح طعامك اي قلل من الطعام المدهن اللين
واكتف بالطعام البسيط المغذي واستحم كل يوم بحمام حار يفتح مسام جسمك وينظفها .
ولا بد لك من غسل وجهك بماء فاتر كل ليلة قبلما تنام بعد ان تذيب فيه قليلاً من البورق ملقعة صغيرة في طست الماء وافرك بجلد وجهك جيداً حتى ينظف وتجري الدورة الدموية فيه واستعمل الصابون الجيد . والغالب ان هذه الواسطة تزيل النقط السوداء ما لم تكن كبيرة جداً
إذا كنت نحيف الجسم وارتدت ان تسمن ولو قليلاً فاشرب كثيراً من اللبن كل يوم مصه مصاً ولا تكرعه كرعاً فانك اذا مصصته امتزج بلعابك وسهل هضمه . واكثر في طعامك من الارز واللوبياء والفول والحمص والزبدة واللحم المدهن والجنب والتين والزبيب والجوز واللوز والتمر والبيض والسكر فان هذه الاطعمة تزيد السمن ولكن لا تكثر منها كثيراً حتى يصيبك منها سوء هضم

واذا كنت سميناً وارتدت ان تخف قليلاً او يعثدل جسمك فاعصر ليمونة حامضة في كأس من الماء الفاتر واشربه في الصباح قبل الطعام فاذا فعلت ذلك يوماً بعد يوم قل سمنك بعض الشيء ولا سيما اذا قللت طعامك
إذا اكثر النساء من المشي السريع يومياً الى حد التعب زال اكثر ما يشكين منه من السامة والضجير

وقاية العين

ان كنت تقرأ او تكتب او تخطط او تعمل عملاً آخر دقيقاً فاجلس بحيث يأتي النور من ورائك لا من امامك فان ذلك احفظ لعينيك واقل اجهاداً لها

لا تفرك عينيك في الصباح بل اغسلها بماء بارد او فاتر واذا وجدتتهما لاصقتين بالعماس من زكام او ضعف فيهما فادهن اجفانهما في المساء بقليل من القاسلين واغسلها في الصباح باللبن الممزوج بالماء وليكن الغسل تنظيلاً

اضر شيء بالعينين طول السهر والقراءة على نور ضعيف فاذا تعبنا من ذلك فاغمضهما واتركهما مغمضتين بضع دقائق فتستريحان ولكن اذا تكرّر اجهادهما على نور ضعيف اصابهما ضرر دائم

القراءة في سكة الحديد والقطر سائر ثعب البصر فاذا كانت عيناك ضعيفتان فلا تقرأ في القطر

اذا وقعت قذى في عينك فلا تفركها بل اغمضها وانفخ انفك مراراً كمن يريد ان يخط واذا كانت القذى منظورة فيسهل نزاعها بطرف منديل ولكن اذا كانت من الحديد ونحوه عسر نزاعها فلا بد من الالتجاء الى الطبيب . واذا زعت القذى وبقيت العين محمرة مألومة منها فاقطر فيها نقطتين من زيت الزيتون النقي واتركها حتى يزول الاحمرار منها

يصيب العين لطفة احياناً فيحمر جفناها ويزرقان وقد يسودان ويزول ذلك بوضع قطعة من اللحم النيء عليها او بدهن الجفنين وما حولهما بالزبدة وتجدد الزبدة كل عشر دقائق

باب الزراعة

محصول القطن وسعره

ورد التقرير الاميركي الشهري في الثاني من يوليو مقدراً حالة القطن الاميركي ٧٤ و ٦ اعشار اي انه يعادل نحو ثلاثة ارباع ما لو كان تام النمو والخصب . وقد كانت درجته في اول يونيو ٨١ وعشر اي اصابه في غضون يونيو ما اضر به وقلم نموه نحو ستة ونصفاً في المئة . وقد كان في اول يوليو من العام الماضي ٨١ وعشرين . وحالما ظهر هذا التقرير ارتفعت اسعار القطن في اميركا وانكثرت وارتفعت ايضاً في القطر المصري مجارة لها ولا تزال الاسعار تتراوح بين الصعود والهبوط ولكنها لم تهبط عن الدرجة التي بلغت اولاً دالة على ان تجار القطن يعتقدون ان الموسم الاميركي صغير لا يزيد على ١٢ مليون بالة وان الاسعار التي بلغها

القطن الآن لا يهبط عنها . وهالك جدولاً ذكرت فيه حالة المواسم الاميركية الماضية من سنة ١٨٨٨ الى الآن وعدد الافدنة التي كانت تزرع كل سنة ومقدار الموسم بالبالاات الاميركية وحالة القطن في اوال يونيو ويوليو و اغسطس وسبتمبر واكتوبر من كل سنة

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦					٣١٩١٨٠٠٠
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٢	٨٣ .	٧٦ ١	٦٩ ٧		٣٣٣٧٠٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ .	٧٥ .	٧٣ ٧	٦٧ ٧	١١٥٧١٩٦٦	٣٢٠٦٦٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٥١٠٩٨٢	٣٨٦٨٦٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ .	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	١١٣٤٥٩٨٨	٢٧٠٠٠٠٠٠
١٩٠٤	٨٣ .	٨٨ .	٩١ ٤	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٥٣٧٠
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ .	٥٨ ٣	١ ٧٢٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ .	٦٨ ٢	٦٧ .	١٠٣٨٣٠٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ .	٦٨ ٥	٦٣ ٤	٠٩٤٣٦٠٠٠	٣٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ .	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥ .	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ .	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ .	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢ .
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨٠٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ .	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٠٧١٥٧ .	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٠٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٣ ٧	٨٠ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٠٧٥٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٠٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢ ٧	٧٤ ٧	٠٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩٠	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ .	٠٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩ .
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٠٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٠٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٨ .

وواضح من هذا الجدول ان حالة القطن في شهري يونيو ويوليو لا تكفي للحكم على المحصول
الحكم البات لانه يمكن ان تحسن الحالة في الاشهر التالية فيزيد المحصول كما يمكن ان تبقى
على حالها او تزيد سوءاً فيقل المحصول كثيراً ولكن يظهر منه ايضاً انه اذا ساءت الحالة في
تقدير يوليو عما كانت عليها في تقدير يونيو فالغالب ان يقل التحسن بعد ذلك وياتي الموسم
صغيراً واذا تحقق ذلك فمنه ربح كبير لاهل الزراعة وتجار القطن وصناعه عموماً

التقابات الزراعية

يهتم جماعة من الفضلاء بانشاء التقابات الزراعية في هذا القطر برئاسة دولة الامير الحكيم
البرنس حسين باشا كامل وقد وضعوا لتأليفها قانوناً شاملاً اطلع عليه رئيس قلم قضايا الحكومة
وينتظر من يوم الي آخر صدور الدكر يتوالى الخديوي به حتى يتيسر لم تأليف التقابات او
شركات التعاون الزراعية في القطر

والغرض من هذه التقابات او شركات التعاون ان تقدم الى الفلاحين ما يحتاجون اليه
من النقايي والسباخ والادوات الزراعية وما اشبه بارخص ما يمكن من الائتمان وتكون
البضاعة من اجود الانواع فتكون النقايي مننقة والسباخ معروفة كمية المواد الغذائية فيه
بالتحليل الكيماوي والمحارث من اجود ما صنع . وقس على ذلك سائر ما يحتاج اليه الفلاح من
المواد والآلات والادوات . وزد على ذلك فان هذه التقابات تهتم ببيع حاصلات الفلاح كما
تهتم بان تشتري له ما يحتاج اليه . وتبذل جهدها حتى لا يغبن في الثمن يائماً ومشترياً . واذا
احتاج الى المال ليشتري به لوازم الزراعة او لوازم المعيشة اعطته ما يحتاج اليه منها بفائدة
معتدلة جداً فتغنيه عن المرابي الذي يدينه بفائدة عشرين او ثلاثين في المئة ولكنها لا
تسهل عليه سبل الاستدانة لاجل البذخ الا تسلمه ما يستدينه نقوداً ينفقها في ما لا فائدة له
منه بل تعطيه ما يحتاج اليه بضاعة ونحوها من لوازم الزراعة والمعيشة

ثم ان هذه التقابات تهتم بارشاد الفلاحين الى ما به النفع لزراعتهم من حيث طرق
الحرث والري والتسميد ومقاومة الحشرات والآفات وما اشبه

وغني عن البيان ان تقابات مثل هذه تخدم القطر المصري اجل خدمة . ويقيننا ان
الواضعين لهذا المشروع الجليل قد تحوطوا من الآن لما يمكن ان يقع من الغش والتجمل فيه
فان اعضاء التقابات ليسوا باصحاب البضائع التي تصنع او تجلب الى القطر ولا هم بالمشتريين
الذين ننهي اليهم المبيعات اخيراً فالتاجر الذي يجلب السماد الكيماوي او المحارث البخارية هو

هو سواء اشترت منه النقابات او اشترى منه الفلاحون ولا بد له من ربح يربحه من تجارته فاذا دخل بين اعضاء النقابة او شاركها بوجه من الوجوه فلا فائدة للفلاح من ذلك وايضاً ينتظر من مديري النقابات كلها ان يشتركوا فيها ويخدموها عفواً لمجرد النفع العام وهو امر محقق في القائمين بهذا المشروع الآن لانهم كلهم من الكرماء الفضلاء المتفاني في حب وطنهم . ولكن يجب ان يكون في القانون ما يكفل بقاء الادارة في يد امثالهم ويمنع دخول المتشغين فيها لئلا تصير نتائج تجارية للكسب من الفلاحين كما صارت امثالها في البلدان الاوربية وقد نتجت عنها فوائد جمة ولكن بعضها افاد مديريه اكثر مما افاد المشتركين فيه . فعسى ان يكون اصحاب مشروعنا المصري قد تحوظوا لذلك من الآن وان تسرع الحكومة في التصديق على مشروعهم واصدار الامر للعالي به

هذا ومجال النفع للنقابات الزراعية واسع جداً واوسع في رأينا ليس البيع والشراء بل تعليم الفلاحين كيفية استغلال الربيع الاكبر ودفع الآفات عن الزراعة والمواشي فان محصول فدان القطن قد يكون قنطارين فقط وقد يبلغ بحسن العناية عشرة قناطير فاذا فرضنا ان حسن العناية والارشاد زاد محصول الفدان قنطاراً واحداً فالزيادة في القطر كله تبلغ مليوناً ونصف مليون من القناطير وهي تساوي ستة ملايين من الجنيهات في السنة . فهما توفر على الفلاحين بمشترياتهم لا يساوي جزءاً صغيراً مما يكسبونه بحسن ادارتهم . وقس على ذلك محصول القمح والذرة وكل الحاصلات الزراعية فانها تتفاوت كثيراً حسب درجة الاعناء بالزراعة والفرق فيها كبير جداً . ولما كان ارشاد الفلاحين من جملة الاغراض التي ترمي اليها هذه النقابات ان لم يكن اهمها فالامل انها تفيد القطر فائدة كبيرة جداً تعود بالشكر الجزيل على حضرات الفضلاء واضعي هذا المشروع ولا سيما رئيسهم الامير الجليل المتفاني في خدمة وطنه البرنس حسين باشا كامل

الحشرات المضرّة بالزراعة

لا يتولد الحمي من غير الحمي في عصرنا هذا ولا يتولد نوع من الحيوان الا من نوعه فاذا ظهر في هذا القطر نوع جديد من الحشرات فهو محبوب اليه من بلاد أخرى واذا اهتمت الحكومة استطاعت ان تمنع دخول الحشرات الجديدة الى البلاد . ومن الغريب ان الحشرات الجديدة قد تكون افثك بالمزروعات من الحشرات القديمة كما ان الامراض الوبائية التي تدخل بلاداً لم تدخلها من قبل تكون افثك بسكانها من الامراض الوطنية ولو كانت وبائية لان

الاجسام تعتاد الآفات التي تكثر عليها فلا يعود ضررها كبيراً مثل الآفات التي لم تعدها وقد نهينا الى هذا الموضوع اننا رأينا بالامس بندقاً اخضر ممّا يباع في اسواق القاهرة في هذه الايام وارداً في بر الاناضول على ما يظهر ووجدنا في اكثره دوداً كبيراً ابيض اللون خرق قشر البندق واكل لبه . وبديهي ان الذين يشترون هذا البندق يرمون ما يجدون فيه دوداً فيتمّ الدود نموه ويصير فراشاً يطير في القطر ويزر وهو لا يجد البندق عندنا ولكنه يجد اثماراً اخرى تصلح لمعيشته فقد يبيض على البلح او على لوز القطن او على المنجو او على غير ذلك من الاثمار ويتكاثر في القطر ويمسي آفة من شر الآفات . فلو منعت الحكومة دخول كل الاثمار والحبوب التي فيها حشرات وديدان لسلمت البلاد من آفات كثيرة . كذا تفعل البلدان الاخرى فانها تمنع دخول الاثمار المضروبة وفسائل الاشجار التي عليها حشرات وبعضها مثل قبرص يمنع دخول الاثمار والاشجار مطلقاً مهما كان نوعها مخافة ان تنصل بها الحشرات اليها لتضر بزراعتها

تسمين المواشي

من العيب الاهتمام بتربية المواشي وتعليقها في القطر المصري لاجل الذبح لان الاموال الاميرية على الاطيان الزراعية عالية جداً فلا يمكن تركها مراعي للمواشي . والاطيان التي تنبت نباتات المراعي تنبت المزروعات على انواعها فيمكن زرعها قحاً وقطناً وما اشبه وريح اصحابها من الزراعة اكثر من ربحهم من المواشي لو جعلوها مراعي لها لكن ما يقال على القطر المصري لا يقال على القطر السوري حيث المراعي واسعة والارض رخيصة ولا مال عليها او مالها طفيف جداً ورعاية المواشي العادية لا تكفي لتسمينها الا اذا كانت المراعي كثيرة الخصب وافرة الكلأ ومع ذلك تمضي شهور كثيرة من السنة ولا شيء فيها ترعاه المواشي فعلى من يريد تربيتها لاجل الذبح ان لا يكتفي بالمراعي الطبيعية بل يضيف اليها انواع العلف الاخرى التي تقيت المواشي وتسمنها

ولا يخفى ان الزراعة اسلوبان الاسلوب الاول والابسط هو استخراج خيرات الارض في شكل نبات وحبوب واثمار اي تحويل عناصر الارض وعناصر الهواء الى مواد نباتية . والاسلوب الثاني هو تحويل هذه المواد النباتية الى لحم ودهن وصوف وشعر وجلود الى حيوانات تأكل لحمها ومنتحل جلودها ونكشسي شعرها وصوفها . ثم ينخل اللحم والجلد والصوف وتعود

عناصرها الى التراب والهواء ويدور هذا الدور الى ما شاء الله . وعمل الزارع الذي يتحول به التراب والهواء الى نبات وجبوب واثمار وتتحول به النباتات والحبوب والاثمار الى لحم وجلد وصوف هو العمل المنتج المغني بين كل اعمال الانسان وما سواه تنويع وتحويل وقلب وابدال وقد تقدم ان سكان القطر المصري لا يهتمون بتربية المواشي للذبيح بل يقول خاصتهم بعدم ذبح صغار المواشي مطلقاً لكي تبقى للزراعة . ومعلوم ان اللحم لا يستطاب الا من صغار العجول والحملان ولذلك يبقى القطر محناً الى استيراد كثير من المواشي للذبيح . واذا اتته سمينة بيعت فيه بثمان غالٍ لا كالعجول والخراف العجاف التي تأتيه الان فتباع بثمان بخس . ويستورد القطر الان من المواشي للذبيح ما يزيد ثمنه على مئة الف جنيهه واذا كانت هذه المواشي سمينة كما يجب فقد تباع بمضاعف هذا الثمن . فهنا باب زراعي واسع الذين يريدون ان يربوا المواشي في القطر السوري لكي تباع في القطر المصري واذا تألفت شركة لهذا الغرض وابتاعت وابورين لجلب المواشي واهتمت بجلب السمين منها فقط وجدت في ذلك باباً واسعاً للربح

والناس مصيبون في اخنيارهم اللحم السمين على اللحم الهزيل لان الاول اكثر غذاء من الثاني كما يظهر من هذا الجدول

في لحم الضأن		في لحم البقر	
غير السمين	السمين	غير السمين	السمين
مواد نتروجينية كالهبر	١٢,٥ في المئة	١٨ في المئة	١٥ في المئة
" غير نتروجينية كالدهن	٣٣,٠ "	١٦ "	٣٠ "
مواد جمادية	٣,٠ "	٥ "	٠,٤ "
جملة المواد الجامدة	٤٨,٥ "	٣٩ "	٤٩ "
ماء	٥١,٥ "	٦١ "	٥١ "

ففي كل مئة درهم من لحم البقر السمين ٤٩ درهماً من اللحم المغذي و ٥١ درهماً من الماء . وفي كل مئة درهم من لحم البقر الهزيل ٣٩ درهماً فقط من اللحم المغذي و ٦١ درهماً من الماء . فالنسبة بين المواد المغذية في لحم البقر السمين والهزيل كالنسبة بين ٤٩ و ٣٩ . وفي كل مئة درهم من لحم الغنم السمين ٤٨ درهماً ونصف درهم من المواد المغذية و ٥١ درهماً ونصف درهم من الماء . وفي كل مئة درهم من لحم الضأن الهزيل ٣٦ درهماً ونصف درهم فقط من

المواد المغذية و٦٣ درهماً ونصف درهم من الماء . فالنسبة في المواد المغذية بين لحم الغنم السمين والمزبل كالنسبة بين ٤٨ ١ و ٣٦ ١ فإذا بيع رطل اللحم المزبل بستة وثلاثين مليماً وجب أن يباع رطل اللحم السمين بثمانية واربعين مليماً لتحفظ الموازنة بين اللحمين في مقدار الغذاء هذا فضلاً عن أن اللحم السمين أطيب طعماً وقد يكون أسهل هضمًا أيضاً

الصناعة المصرية

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(١)

صناعة الفخار والاجر

يصنع عرب العباددة في جوار اصوان ضرباً من القدور يسمونه « البرم » وهو اسم المكان الذي يقلع منه حجرها فانهم يأخذون حجراً يجوفونه ويسوّونه من الخارج مستديراً الى ان تصير ثخانة جدرانها ثلاثة سنتيمترات او اربعة فيستعملونه للطبخ فيه ويبيعونه في تلك الجبلات حتى مدينة اسنا

ويصنعون هذه القدور ايضاً بطريقة أخرى افضل من الاولى وذلك بان يدقوا حجر البرم ويعجنوا دقيقه مزوجاً بصلصال يأتون به من سفح جبل اصوان فيصنعون منه قدوراً تدلكها النساء من الخارج بالايدي ثم يعرضونها لحرارة الشمس يومين وبعد ذلك يشوونها شيئاً خفيفاً فتصير صالحة للاستعمال

وفي ادفو معمل مهم لصنع الخزف تصنع فيه جميع الآنية الخزفية وخصوصاً ما ضخ منها كالدينان وخلافها

وفي قنا يستخرجون من عند قم التربة التي في جهة الشمال الشرقي منها نوعاً من الصلصال الضارب الى البياض يصنعون منه ازياراً وقللاً يبرد فيها الماء بشجر ما يرتشح منه ولذلك تروج تجارة هذه الآنية في جميع انحاء مصر فيصدر من قنا نحو ثلاث مئة الف منها سنوياً .

وتباع القلة في قنا ببارة واحدة وفي الجهات الاخرى ببارتين او ثلاث اما في التجارة « جملة »
 فيباع الالف منها بخمس مئة بارة . اي نحو سبعين غرشاً
 ويصنع في ملوي وفي منفلوط اذناب كبيرة من مثل التي تستعمل في الصباغة والصبغة
 وعمل السكر الخور غمماً عن ثخانها يلزم استعمالها زمناً قبل ان تنقطع عن الارتشاح
 ويعمل البلاص في القرية التي اخذت هذه الآنية منها اسمها حيث يعتنون بصنعها
 وشيها لتكون صالحة لحفظ الزيت والسمن . اما اكواز الفخار التي تستعمل في السواقي فتصنع
 في غالب جهات مصر بمقادير عظيمة جداً . وكثيراً ما يرى حطامها في ارباض القرى
 ولا يصنع من فناجين القهوة والآنية التي تحفظ فيها الاثمار المسكرة غير شي يسير في القاهرة
 واكثر بيوت القاهرة مبنية من الاجر المشوي خلافاً لبيوت القرى المبنية جميعاً من
 الطوب المحفف بالشمس

ويعمل الاجر من طين يؤخذ من مسيل النيل فيصنعون منه قطعاً طول الواحدة منها
 ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ١٠ سنتيمترات وثخنها ٥ سنتيمترات . وما يستعمل منها بدون حرق
 يجففونه في الشمس خمسة ايام قبل استعماله

ويضعون غالباً في الاتون (القمينة) نحو ٤ او ٥ آلاف طوبة منه يحرقونها ٢٤ ساعة
 باقاد سوق الذرة والفلو والسلمج اليابسة وفي الوجه البحري يستعملون سوق الارز . وبعد
 الانتهاء من الحرق ييومين يبرد الاتون ويستخرجون منه الاجر

ويصنع الكلس (الجير) في اغلب جهات الصعيد حيث تكثر الحجارة الملائمة لعمله في
 الجبال المجاورة لمسيل النيل . وكان من جملة الاسباب الداعية لئلا يهياكل الوجه البحري
 المبنية بالحجر السكري اللون تهافت الاهالي على اقتلاع حجارتها وعملها كلساً لما وجدوا في ذلك
 من السهولة والتخلص من عناء جلبها من الجبال البعيدة

(٢)

صناعة نسج الاقشة القطنية والكثانية (الثيلية) الخ

يفضل القطن الذي يزرع في انحاء اسنا على غيره من القطن المصري ولذلك ينسج شي
 كثير منه في اسنا ويبيع للاعراب ولاهالي القرى المجاورة . غير ان قوص وقنا أهم من اسنا
 في هذه الصناعة . ففيهما اكثر من مئتين وخمسين نولاً يستنزف اصحابها قطن الصعيد الذي
 يمكنهم الحصول عليه ويشتررون ايضاً كميات ليست بقليلة من الوجه البحري . ويجلب تجار

القاهرة القطن من سوريا يبعونه في هاتين المدينتين وخلافهما . ويعطي الحائك رطلاً (١) ونصف رطل للغزاة فترجع ذلك له بعد نحو شهر رطلاً غزلاً

وقطعة القماش التي تنسج بمرة على النول تبلغ ٦ اذرع (بلدية) في ذراع ونصف عرضاً . ويتقضى لحياكتها يومان واجرة يوم الحائك من غرش الى غرش وربيع وبيع الذراع من هذا القماش بنحو غرش

ويجوز ان يكون ايضاً في قنا ضرباً من الشال القطني المخطط باقلام زرق يلبسه المزارعون واكثر الاهالي على اكتافهم وطول هذا الشال اثنا عشر ذراعاً وعرضه ذراع ونصف وثمنه خمسة فرنكات وبيع منه جانب عظيم للقوافل القادمة من دارفور وسنار وغيرها من جهات اواسط افريقية

وينسج نساجو الاقمشة القطنية كل ما يلزم للفلاح من الانسجة الصوفية ايضاً فيشترون الغزل من النساء والرجال الذين يغزلون الصوف اثناء رعاية المواشي وفي اوقات الفراغ من العمل وفي بني سويف نحو ٦٠٠ حائك جميعهم منقطعون لحياكة الاقمشة القطنية التي يبيعونها للاهالي ولقبائل العرب المجاورة . اما في مدينة الفيوم فتتناول هذه الصناعة نسج الاقمشة القطنية والصوفية والكتانية . ففي هذه المدينة نحو ١٠٠ نول لنسج القطن و ١٢٠ نولاً لنسج الكتان فضلاً عما يوجد منها في قرى البلاد وكثير ما هو

وقبل نسج الكتان يقصرون خيوطه بغليها في مزيج من ماء النظرون والكلس (الجير) الحمي ثم يغسلها بماء بارد وتجفيفها

ويصنعون ثلاثة انواع من الاقمشة الكتانية وتباع الشقة منها بين ١٣ غرشاً و ٣٠ غرشاً تبعاً لجودتها وعرضها الذي يكون من $\frac{2}{3}$ الذراع الى ذراع ونصف . اما طولها فيكون دائماً ٣٠ ذراعاً

ولا يصدر من الفيوم الا جانب قليل من الاقمشة الكتانية غير انه يصدر منها مقادير كبيرة من الخيش الى الخارج فضلاً عما يباع منه في داخل القطر . وهو يصنع شقة عرض الشقة ذراعان وطولها اربعة اذرع فيصدر منها الى اوربا وسوريا نحو ٤٠ ألف شقة سنوياً . ويرد الى الفيوم والى بني سويف من قطن سوريا والوجه الجري بين ست مئة قنطار والى قنطار سنوياً

(١) الرطل في قنا يساوي ثلاثة ارطال ونصف في القاهرة

ويرأس طائفة الحاكة في كل من الاماكن المهمة شنج يتولى جباية الاموال المضروبة على ارباب هذه الحرفة والفصل في ما يشجر بينهم . وتبلغ الاموال المضروبة على طائفة النساكين نحو ثلاثة الاف غرش يوزعها مشايخ الحرفة على الصناع حسب اهمية اشغالهم ويرسل من الفيوم الى القاهرة اسبوعياً نحو الف شال مصنوع من الصوف الابيض الذي يكثر في تلك الجهة

اما في الوجه البحري فيجوزكون الاقمشة الكتانية في كثير من الاماكن وخصوصاً في طنطا وشبين ومنوف وسمنود حيث يصنعون منها ضرزوباً مختلفة بين خشن ومقصور مكفوف الحواشي وصفيق يستخدمونه لعمل الخليم واغشية حشايا الاسرة . وفي شبين نحو ٤٠٠ نول لحياكة الكتان وفي طنطا اكثر من ذلك قليلاً

وتنفرد المحلة الكبرى باثقان صناعة الاقمشة الحريرية التي تستخدم لعمل الستائر واغطية الدواوين والمسائد والاخونة (الترابيزات) من سادج ومزركش بخيوط ذهبية وفضية وحرير سوداء للنساء ومناويل وغير ذلك

وهناك مصابغ لصبغ الحرير بالوان مختلفة من اسود واحمر واصفر واخضر وبرنقالي . غير ان ما يصبغ بلون الورد يؤتى به من القاهرة مثل خيوط الذهب والفضة التي يزرکشون بها الاقمشة السابق ذكرها

اما الحرير فيؤتى به من سوريا بطريق دمياط ومقابل ذلك يرسلون الى بلاد الشام جانباً من هذه المنسوجات الحريرية

وفي دمياط انوال لحياكة حبر الحرير السوداء وانوال اخرى خاصة بعمل الاقمشة الكتانية المزركشة بجواش من حرير يصدرون معظمها الى بلاد الشام حيث يستعملونها حزمًا وعمائم ويصنع قماش قلع المراكب في المنصورة والمنزلة والبرلس ودمياط ورشيد والاسكندرية وامبابه واجوده ما يصنع في رشيد . ويبيع مما يصنع في المنصورة في سوريا وجزائر الارخبيل الرومي

ولا خلاف في ان صناعة الحياكة عريقة في مصر فلا يعلم زمن بدئها ولكنها رغماً عن ذلك لا تزال على حالتها كما كانت منذ القدم

وواضح مما تقدم ان القطر المصري تأخر في الصناعة تأخراً بيناً معيماً منذ مئة سنة الى الآن كأن النجاح الذي اصابه من زراعة القطن جعله يغضي عن سائر ابواب الرزق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ أول إنشاء المقتطف ووجدنا فيه مسائل المشركين التي لا تخرج عن دائرة مقتطف المقتطف. ويشترط على المسائل (١) أن يضي معاملة باسمه والقاب ومحل اقامته امضاء واضحا (٢) ان لا يرد المسائل النصرح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفاً تتوحد مكان اسمه (٣) اذا لم يصرح السائل بعد شهرين من ارساله اليها فليذكره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهلناه لسبب كافٍ

(١) فوائد العفة

وندرس كاسل بجايكا . الخواجه شحاده
خليل مالك . لماذا يستحي الناس من ذكر
بعض اعضائهم مع ان عليها يتوقف وجودهم
ج . يظهر لنا ان ميل الانسان الى ستر
عورته والاستحاء من ذكرها قديم فيه وان
هذا الميل كان له اليد الطولى في ارتقاء نوع
الانسان جسداً وعقلاً وادباً فرسخ فيه بمرور
الايام . والام التي يشتد فيها الحياء ارق
من غيرها والام التي يقل حياؤها تنحط
رويداً رويداً لسبب طبيعي لا يخفى . افرضوا
انه وجدت قبيلتان في جزيرتين منفردتين
وكانتا متساويتين في كل شيء ثم اتفق ان
احدهما مالت الى الحياء والعفة والاخرى
خلعت العذار ومالت الى الشبق والتهتك فلا
تمضي قرون كثيرة حتى تختلف القبيلتان
اختلافاً كبيراً الاولى يقوى نسلها وتصح
ابدانهم وعقولهم وادابهم فيتغلبون على كثير
من المصاعب الطبيعية وينتدئ عمرانهم
ويتوطد . والثانية يضعف نسلها وتعتل

ابدانهم وعقولهم وادابهم ويعجزون عن
المصاعب الطبيعية ويقعون على البداوة او
يكون عمرانهم ضعيفاً . لان الشبق يضعف
الجسم والعقل ويفسد الآداب ويضعف النسل
ايضاً . ولا خوف على امة العفة اساس تمدنها
او دينها ولكن يحشى على كل امة لا عفة في
تمدنها ولا يوجب دينها العفة على ابنائها

(٢) اصل الرجم

ومنه . نقرأ عن اجمار الرجم في الفضاء
فكيف وجدت وكيف استطاعت التخلص
من جاذبية الاجرام التي تزعت منها
ج . من رأي بعض العلماء ان الرجم
اصلية في الكون وان الاجرام السماوية تكون
منها اي من اجتماعها بعضها ببعض . والمذهب
القديم ان السديم هو الاصل ثم تكون منه
الاجرام الكبيرة ويتفق ان يتصادم بعض
هذه الاجرام فتتكسر وتصير الرجم منها ثقب
دائرة في الجو الى ان تدنو من جرم كبير
يجذبها اليه . وقد ذهب الاساذ بكنج الان
الى ان اصل اكثر الرجم الارضية من الارض

وقد انفصلت عنها وقتما انفصل القمر

(٢) كيف وجدت المادة

ومنه . هل يعقل ان يكون الوجود بدون بداية وكيف وجدت المادة التي تكون منها كل ما يرى وهل يرجي في مستقبل الدهر ان يهتدي العلماء الى حل هذه المعضلة

ج . ان تصور العقول لا يجري على نسق واحد فالبعض يتصورون الوجود بدون بداية والبعض لا يستطيعون تصوره كذلك . ولا يعلم كيف وجدت المادة ولا نعلم هل يهتدي الناس الى معرفة ذلك في المستقبل . ولا يخفى اننا نريد بالعلم هنا العلم المبني على ما ندركه بالمشاهدة والامتحان . وقد يعتقد الانسان اعتقاداً او يستنتج استنتاجاً عقلياً ان للمادة بداية وان الله خلقها على هذه الصورة او تلك ولكن الاعتقاد شيء والاستنتاج العقلي شيء والحكم العلمي المبني على التجارب والمشاهدات شيء آخر

(٤) غاية الارتقاء

ومنه . هل لنا موس الارتقاء حد يقف عنده او هو سائر الى ما لا نهاية له
ج . لا نعلم ولا نظن احداً من الناس يدعي علم ذلك

(٥) اميال الانسا

ومنه . نرى عقل الانسان وقلبه في نزاع دائم القلب يميل والعقل يردع فهل يرجي ان يعيش الانسان بعقله فقط وتتزع من

قلبه جراثيم الاميال وهل هذا النزاع طبيعي نافع او هو مكتسب ضار

ج . يراد بقلب الانسان في هذا القول الاميال التي في دماغه واعصابه ودقائق جسمه وهي صفات او حالات موروثه نتجت اصلاً عن اسباب طبيعية كميل شعر الزنبي الى السواد والتجعد وميل شعر الصقلي الى الشقرة والاسترسال وكشهوة الاكل والنزهة . ويراد بالعقل المعلومات الاولية او البديهيات مثل ان الكل اكبر من جزئه والاشياء المساوية لشيء واحد مساوية بعضها لبعض والمعلومات الاخبارية مثل ان الشمس تشرق في الصباح وتغرب في المساء والحراث والخدمة ينيران الزرع والوقاية من الامراض تقلل خطر الوقوع فيها . فاذا كانت الاميال آيلة الى نفع الفرد او النوع او كليهما فالغالب انها تبقى وتقوى لان الذين تكون قوية فيهم يكونون اقوى من غيرهم على البقاء واخلاف النسل واذا آلت الى ضرر الفرد او النوع او ضررها كليهما فالغالب انها تضعف وتزول لان الذين تكون فيهم لا يقوون مثل غيرهم على البقاء واخلاف النسل وعلى ذلك يتشى الارتقاء

(٦) حرية الانسان

ومنه . هل الانسان حر بكل معنى الكلمة او هو آلة في يد الطبيعة تديره كيفما شاءت فاذا كان حراً فلماذا لا يكون كما يريد ويبلغ

كل امانيه واذا كان آله في يد الطبيعة فلماذا
يطالب على ما يفعله بقوتها وارادتها
ج . هو حرٌّ من وجوه وغير حرٍّ من
اخرى فالامور التي رُسخت في اسلافه راسخة
فيه لا يستطيع تغييرها مهما حاول فهو مقيد بها
كما اذا ولد ابيض او اسود او طويل القامة
او قصيرها فهو مقيد من هذا القبيل وغير
مسأول عن سواد لونه او بياضه وطول قامته
او قصرها . ولكن ميله الى هذا النوع من
الطعام او ذاك غير شديد فيه حتى يقيد
باكل نوع دون آخر فيستطيع ان يأكل
الطعام النافع ويستطيع ان يأكل الطعام
الضار فاذا اكل طعاماً ضاراً ومرض فهو
مسؤول عما فعل ونفع نتيجة فعله عليه . وهكذا
الميل الى الكذب فانه موجود في الانسان
ولكنه غير شديد فيه حتى يمتنع عليه الامتناع
عنه فيستطيع ان يصدق في كل اقواله فاذا
كذب فهو مسؤول . وظاهر من ذلك ان
الحرية والنقيد على درجات مختلفة فقصور
القامة مقيد بقصر قامته كما تقدم ولكنه يستطيع
اذا اراد ان يزيدها ستمتراً او ستمترتين
بالمواظبة على مط جسمه . وايض الجسم مقيد
ببياض بشرته ولكنه اذا قضى عمره في الشمس
مكشوفاً اكتسبت بشرته سمرة دائمة قد
تنقل الى نسله وعلى ذلك اسمر بل اسود
نسل العرب والشراكسة الذين سكنوا بلاد
السودان اما الزنجي فلا يظهر انه يستطيع ان

يقلل سواده ولو قضى حياته في شمالي اوربا .
والانسان حر ان يأكل ما يشاء كما تقدم
لكنه قد يرى في نفسه ميلاً يدفعه الى
اكل بعض المأكول ويجذ عنه شديداً في نهي
نفسه عنها . والخلاصة ان الانسان حرٌّ من
وجوه ومقيد من وجوه اخرى وللحرية
والتقيد درجات متفاوتة

(٧) بعض الترجمات

زحلة نرجوان تنشروا لنا ترجمة
غمبثا وشوبنهوور وغلادستون ونيوك وشاركو
واذا كنتم قد نشرتم ترجمات هؤلاء الرجال
قبلاً فارجو اعادة الكلام عنهم لان اعداد
المقتطف القديمة غير موجودة عندي وانا في
حاجة ماسة الى الاطلاع على ترجماتهم
ج . تأتينا مسائل كثيرة من هذا القبيل
ولا ندرى كيف يطلب اصحابها هذا الطلب
فان كنا قد نشرنا ترجمات هؤلاء الرجال في
المجلد العشرين او الثلاثين من المقتطف
فلماذا نعيد نشرها الآن ونضع على الوف
القراء عدداً او عديدين من المقتطف لكي
يسفيد مشترك واحد في زحلة لم يتفق انه
كان مشتركاً في المقتطف لما نشرت هذه
الترجمات فيه . ولماذا لا يطلب ان يشترى
الاجزاء التي نشرت فيها تلك الترجمات
ليستفيد هو ولا يضر غيره . اما نحن فقد
نشرنا ترجمة غمبثا في الجزء السابع من المجلد
السابع من المقتطف وترجمة غلادستون في

الجزء السابع من المجلد الثاني والعشرين ولم
نشر ترجمة شوبنهاور ولا ترجمة نيوم ولا
شاركو وسنشر ترجمة نيوم في الجزء التالي
فقد اتانا نعيه قبل كتابة هذه السطور

(٨) المعجزات والعلم

ديفه بقضاء اللاذقية . الشيخ سليمان احمد
هل في العلم دليل على امكان وقوع المعجزات
الواردة في الكتب الدينية

ج . اذا اريد بالمعجزات الحوادث
الطبيعية النادرة الحدوث كما يفهم بعض علماء
التفسير فالعلم يؤيد وقوع بعضها واذا اريد
بالمعجزات ما يجري على ضد نوايس الطبيعة
وليس له سبب طبيعي فالعلم لا يسلم بصحتها
لان اكثر ما بحث فيه من هذا القبيل وجد
الصحيح منه اسباب طبيعية وما بقي وجد
غير صحيح

(٩) عمر الارض والكواكب وابعادها

ومنه . اليس من باب الظن والتخمين
ما يقال عن عمر الارض والكواكب
وابعادها واوزانها

ج بعضه من باب الظن كالذي يقال
عن عمر الارض لانه مستنتج من امور غير
مقررة وبعضه يجب ان يكون صحيحاً كالذي
يقال عن ابعاد السيارات واوزانها لانه مبني
على امور رياضية مقررة . فعمر الارض مثلاً
يقدّر الآن من مقدار الملح الذي في ماء
البحر ان مساحة البحار ومقدار المياه التي فيها

ومقدار الملح الذي في الماء يمكن معرفتها كلها
بالتقريب . والملح حاصل من الانحلال
والتركيب في بعض المواد التي تحملها مياه
الانهر الى البحر فاذا عرفنا مثلاً ان مياه الانهر
تحمل كذا قنطاراً من المواد كل سنة وانه
يتكون منها كذا قنطاراً من الملح وفي مياه البحار
كلها كذا قنطاراً منه فالنتيجة انه اقتضى كذا
وكذا من السنين حتى تكون هذا المقدار من الملح
في مياه البحار ولنفرض انه ع فعمراً الارض اكثر
من ع من السنين . ومعرفة ذلك كله تقريبية
ولكن بعد الشمس والقمر والسيارات مبني على
ان النور يسير في خطوط مستقيمة وعلى خواص
اخرى من خواصه فاذا رصد جرم سماوي
من مكانين في وقت واحد وقيس البعد بينهما
تماماً امكن معرفة بعده . والاجرام البعيدة
يقتضي حساب بعدها قاعدة واسعة جداً فلا
يقاس بالدقة التامة لكن لا يكون الفرق بين
النتيجة الحسابية والحقيقة كبيراً فاذا وجد
بالحساب ان بعد نجم عشرة آلاف مليون
ميل فقد يزيد عن ذلك او ينقص عنه واحداً
في المئة او واحداً في الالف ولكنه لا يزيد
او ينقص عشرة في المئة او عشرين في المئة

(١٠) قدم الماس

كفر المبروك . عبد الحى افندي سليم
هل كان الماس معروفاً في عهد اليونان والرومان
ج . نعم وقد ذكره اليونان قبل المسيح
بثلاثة قرون باسم الادماس اي الذي لا

الفيلسوف هربرت سبنسر وشرحها شرحاً مسهباً في كتبه وبين اصولها ومراميها ويراد بها السعي في نفع الغير اي انها ضد الانانية التي يراد بها السعي في نفع النفس وقد نشرنا فصلاً مسهباً فيها في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف والصفحة ٥٠٥ — ٥١٥

(١٢) المادية ووجود الله

ومنه • ما اقوى البراهين العلمية لافناع الماديين الذين ينكرون وجود الله
ج • اذا اريد بالبراهين العلمية الاقيسة التي مقدماتها ما يعرف من حقائق الطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والنبات والحيوان وما اشبه فهذه لا يبراهين فيها على وجود الله كما لا يبرهان على وجوده في علم الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض وما اشبه واذا اريد بالعلم الاقيسة المبنية على المباديء الفلسفية او الدينية فبراهينه لا تقنع الماديين والغالب ان الماديين لا ينكرون وجود الله ولكنهم يقولون ان عقولهم لا تتحد او لا تدرك وجوده • وان قلت لهم لا بد لكل موجود من موجد قالوا لك ان الموجد موجود فيستلزم وجوده موجداً له وهذا دور لا يدرك العقل له نهاية

ويظهر لنا ان العلماء الماديين لا ينكرون وجود الله او هم ليسوا اجمد من غيرهم لوجوده وان سيرتهم تدل على انهم افضل من كثيرين من المجاهرين بالاعتقاد بوجود الله ولا ينفخ

يخضع او العاصي دلالة على صلابته وعدم احتراقه ووصفه بـ «بلينيوس» وصفاً مسهباً وذكر منه الهندي والعربي • وقد كان بليني في القرن الاول المسيحي • ويظن بعض علماء الآثار ان المصريين القدماء كانوا يعرفون الماس ويستعملونه في النقش على حجارة الغرائت

(١١) سيمون وجيخون والفرات

فراشة • شيخ العرب ابو هاشم علي قريط • من اين منبع الانهار الثلاثة سيمون وجيخون والفرات وفي اي بلاد تنفرع

ج • سيمون وجيخون نهران في ولاية ادنه بـ «الاناضول» ينشآن في نـ «كبدوكية» (سواس) ويصبان في بحر الروم قرب مدينة ادنه سيمون يصب الى الجنوب الغربي منها وجيخون الى الشرق منه واكثر جريهما في ولاية ادنه واولئل جيخون في الطرف الشمالي الغربي من ولاية حلب • والفرات ينشأ بعضه في ولاية ارض روم وبعضه في ديار بكر ويجري في ولايات وان وسواس وحلب وبغداد والبصرة

(١٢) الاترويزم

بغداد • الخواجه هاربتون مراديات من هم الاترويزم وما هي فلسفتهم وما منزلتها لدى طلاب الحقيقة

ج • ان معنى الاترويزم الغيرية نسبة الى الغير مقابلة للانانية نسبة الى انا • وضع هذه الكلمة الفيلسوف كنت واعتمدها

واحد منهم عن رأيه في هذا الموضوع الآخر
ويتكلم عن العزة الالهية بالوقار الثام . اما
الذين لم يبدوا هذا الوقار فلانهم قصدوا التهمك
بالمعبودات التي يصورها بعض الناس لانفسهم
ويجعلون مزاياها الغضب والحقد والانتقام
وحب الرشوة والتبجيل

(١٤) العلم والشر

ومنه . اذا كان العلم ينقض الشر ويقلله
فهل يغنينا عن الدين من هذا القبيل
ج . كلا فان من الناس من نفعه
الادلة العلمية ومنهم من نفعه الادلة الدينية
(١٥) الحبل المغنطيسي

سان ستفانو . حسين افندي يسري .
مامعنى كلمة Magnetic Induction

ج . معناها الفعل الذي يفعله المغنطيس
بالاجسام القابلة للمغنط كالحديد والنكل اذا
كانت قريبة منه ونحن نترجمها بالحبل المغنطيسي
(١٦) الرموز الكيماوية

ومنه . كيف تكتب الرموز الكيماوية
وكيف تتركب الكلمات كما نرى في H_2SO_4
ج هذه عبارة الحامض الكبريتيك
ونحن نكتبها هكذا H_2SO_4 اي جوهران
من الهيدروجين وجوه من الكبريت واربعة
من الاكسجين والحروف الانكليزية هي
الحروف الاولى من اسماء العناصر وكذلك
الحروف العربية . ونشير عليكم ان تطالعوا كتاب
الدكتور فان ديك في اصول الكيمياء ويأجبدا

لو رأينا من عدد كبير من القراء رغبة في
مطالعة المباحث الكيماوية التي من هذا القبيل
حتى ننشر لهم دروساً متوالية فيها وهي مما
قضينا في تدريسها جانباً من العمر
(١٧) الطوفان

البرازيل . الخواجه خليل اسطفان . لا
يخفى ان المطر بخار تصاعد بحرارة الشمس عن
سطح البحار والبحيرات ونحوها من مجاميع المياه
ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماءً ووقع مطراً
والمطر يجري جداول وانهاراً ويصب في
البحار وهكذا على توالي الادهار فلا يزيد الماء
ولا ينقص فكيف توفقون بين هذا الامر
وبين ما هو مكتوب في سفر التكوين عن
الطوفان حيث يقال انفجرت كل ينابيع الغمر
العظيم وانفتحت طاقات السماء الخ فمن اين
اتت تلك المياه العظيمة وغطت الجبال الشاخمة
ومات كل ذي حياة كما هو مكتوب هناك والى
اين ذهبت بعد مئة وخمسين يوماً الى آخر
ما ذكر هناك

ج . ان علماء التفسير على ضروب فبعضهم
يفهم الكلام على ظاهره ويقولون ان الله قادر
على كل شيء فيوجد الماء من لا شيء كما اوجد
الكون كله ثم يلاشيه بكلمة ولا يشعرون
انفسهم بالتفسير والتأويل وهذا اخصر الطرق
واسلمها من العثار

وبعضهم يقول انه حدث اضطراب عظيم
في قشرة الارض فعلت مياه البحار بامواج

يحمل الماء البارد واما اذا كان قويا واحتمل
الماء البارد فهو اصلح له بشرط ان لا يطيل
الانسان الاقامة فيه وان ينشف جسمه ويفرجه
جيدا بعده حتى تسرع الدورة الدموية في جلده
(١٦) الحواة والتعابين

ومنه . طالما رأينا في مجلدكم انكم تنسبون
الحواة الى الشعوذة ولكنني رأيت ان بعضهم
صادق بالامتحان وذلك انني ضربت ثعباناً بالآلة
حادّة تركت فيه اثرًا وبعد ايام حضر الحاوي
فأريته المكان الذي فيه الثعبان ولكنني لم
اخبره بالواقعة فآخذه لي بعينه فكيف
توولون ذلك

ج . ان كان ثعبانكم قد بقي مستكنًا في
مكان واحد فقد لا يتعدّر على الحاوي ان
يخرجه منه . ولكن في هذه الحادثة شهبان
الاولى كيف عرفتم ان الآلة الحادّة ابقّت
اثرًا في الثعبان وكيف تمكنتم من رؤية هذا
الاثر . وكيف عرفتم ان الثعبان بقي في المكان
الذي دخله امامكم وكيف عرفتم انه لم يخرج
منه واتفق للحاوي انه قبض عليه خارجًا واطهره
لكم وهو لا يعلم شيئًا من امر هذا الاثر . اما
حكمنا على شعوذة الحواة فبني على اعترافهم لنا
وعلى كشفهم لنا كيفية عملهم في اظهار
الثعابين . ولا شبهة ان في الحواة شيئًا خاصًا
قلما يشاركونه احد فيه وهو مهارتهم الفائقة في
القبض على الثعابين وقلع انيابها السامة وخنة
حركاتهم في اظهارها واخفائها

عظيمة وغمرت اليابسة سهولها وجبالها ولم تنزل
آثار هذا الطوفان في جبال الارض حتى
الآن . ومن هؤلاء المرحوم دوق ارجيل
وقد نشرنا خطبة له في هذا الموضوع في المجلد
الثامن من المقتطف صفحة ٥٣٨ و ٦٠٠

وبعضهم يقول ان الطوفان كان مجليًا
لان الناس كانوا محصورين في بقعة من بقاع
الارض حول جبل اراراط فاجتمعت مياه
الامطار كلها في ذلك المكان ووصلها ماء
البحر ايضا

ومنهم اناس يلجأون الى التأويل فيقولون
حدث طوفان قديم مثل سيل العرم او مثل
الطوفانات التي تحدث الآن في بلاد الصين
وتداول الناس خبره بالاسناد الى ان وصل
الى كاتب سفر التكوين فكتبه كما سمعه
وكتبه البابليون كما سمعوه وقد نشرنا ترجمة
خبرهم في المجلد السابع من المقتطف صفحة ٦٥٣
اما نحن فلا نرى فائدة من محاولة التوفيق
بين الكتب الدينية والمبادئ العلمية وترانا
ميالين الى الرأي الاخير ولكننا لانجزم بصحّته
(١٨) الاغتسال بالماء البارد

ام درمان . محمود افندي الناظر هل في
سقوط ماء الدوش على الرأس مباشرة ضرر
على الدماغ وهل الافيد استعمال الماء باردًا
او فاترًا

ج . لا ضرر على الدماغ من ماء الدوش
والماء الفاتر اصلح اذا كان الجسم نحيفًا لا

بإحسان حبيب العلم

ده غويه

خسر المستشرقون ولا سيما الباحثين في العربية وفنونها وآدابها خسارة لا تُعوَّض بوفاة العالم المحقق ميخائيل جاب ده غويه استاذ العربية في ليون ويقال انه ليس في اوربا كلها من يجاربه في معرفته العربية الا الاستاذ وستنفلد

ولد ده غويه سنة ١٨٣٦ ونثلد للعالم دوزي الذي كان اعلم رجال عصره بالعربية وعكف على المؤلفات القديمة في التاريخ والجغرافية وهو الذي جمع تاريخ الطبري وصححه وطبعه وعلق عليه تعليقات كثيرة ويقال ان نشر هذا التاريخ اعظم عمل عمل في القرن التاسع عشر ونشر ايضا ديوان مسلم بن الوليد وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة وله كتاب جغرافي العرب في ثمانية مجلدات ومن المقالات الحافلة التي قرأناها له مقالة في الانسكلوبيديا البريطانية عن الطبري بسط فيها الكلام على التواريخ العربية والمؤرخين

وكانت وفاته في ١٧ مايو الماضي في مدينة ليون

الاستاذ نيوم

خسر علم الفلك خصوصاً والعلوم الرياضية عموماً خسارة لا تُقدَّر بوفاة العالم الفلكي المشهور الاستاذ نيوم اكبر علماء الفلك في اميركا توفي في الحادي عشر من شهر يوليو وسنأتي على ترجمته في الجزء التالي

مؤتمر الطب العام

يجمع مؤتمر الطب العام في بودابست من ٢٩ اغسطس الى ٤ سبتمبر بحماية امبراطور النمسا ومباحثته معروفة في التشريح وعلم الاجنة والفسولوجيا والباثولوجيا وعلم الميكروبات والتشريح الباثولوجي والاقرباذين والطب الباطني والجراحة والتوليد وامراض العين وامراض الاطفال وامراض المجموع العصبي والامراض العقلية والامراض الجلدية وامراض مجرى البول وامراض الانف والحنك وامراض الاذن وامراض الفم وحفظ الصحة والوقاية من الامراض والطب الشرعي وامراض الجنود والامراض الاستوائية . وستلى فيه الخطب الكثيرة في هذه المواضيع

وفي جملتها خطبة الدكتور بشفرد الانكليزي عن السرطان وخطبة للدكتور غروير الالماني عن الوراثة والانتخاب وخطبة للدكتور لافران الفرنسي عن الطب الاستوائي (اي تطبيب الامراض الخاصة بالاقاليم الحارة قرب خط الاستواء)

اصل المصريين القدماء

يرى الدكتور اليوت سمث من فحوص العظام التي وجدت في المدافن المصرية القديمة ان اقدم السكان الذين بقيت عظامهم الى الآن كانوا اقصر قامة من ابناء هذا العصر واطولهم من اهل مصر في شكلهم العرب واهالي جنوبي اوربا وهم اشبه الناس بالبربر سكان الساحل الجنوبي من افريقية مما يلي بحر الروم . ولم توجد حتى الآن آثار شعب من ذلك العصر في بلاد اخرى من البلدان المجاورة للقطر المصري فعمرائهم كان خاصاً بهم تولد في وادي النيل بعد ان اقاموا فيه السنين الطوال قبل الزمن الذي كشفت آثاره

ولما قامت الدولة الاولى من الدول المصرية تغير بعض السكان فاستعرت رؤسهم وضائق انوفهم وتحسنت سمحتهم اي دخل البلاد شعب جديد . وقبلما يعرف شيء عن اصل هذا الشعب ولكن يرجح ان السكان الاصليين في الوجه البحري اختلطوا باقوام اتوه

بحراً من جزائر بحر الروم او من سواحل اوربا الجنوبية او اتوه برّاً من سورية او من سواحل افريقية الجنوبية . ولكن شكل السكان الاصلي لم يتغير الا قليلاً في ايام الدول الاولى وبقي اناس كثيرون منهم محافظين على شكلهم القديم ولم يظهر التغير واضحاً الا في زمن الدول الحديثة

وما حدث في الوجه البحري حدث ضده في الوجه القبلي وبلاد النوبة فان الجنس الاصلي لم يمتزج بالشعوب الجديدة من الشمال بل بالزنج من الجنوب . فاهالي الوجه البحري من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوه من سواحل بحر الروم . واهالي النوبة من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوه من الزنج

ماء البحر ومصل الدم

ذهب المسيو كوينتون الى ان سبب مشابهة مصل الدم لماء البحر ان الحيوانات كلها كانت تعيش اولاً في ماء البحر وكانت دقائق جسمها مغمورة به فلما صار بعضها برّاً بقي في دمها سائل مثل ماء البحر تماماً لتبقى دقائقها مغمورة به ولذلك فالليكوسيت اي حويصلات الدم البيضاء تعيش في ماء البحر كما تعيش في الدم ثم وجد ان الحقن بماء البحر يقوي الجسم في بعض الاحوال كأنه يصلح مصل الدم

برج بابل

زعم كثيرون من الشرّاح ان الخرائب المعروفة ببرج بابل هي من بقايا البرج المذكور في التوراة والمعروف بهذا الاسم . لكن ثبت للباحثين عن الآثار القديمة انها بقية هيكل قديم بني للسيارات السبعة حسب رأي القدماء وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي التي جمعها البازجي بقوله تلك الدراري زحل فالمشتري

وبعدها مريخها في الاثر

شمس فزهرة عطارد قمر

وكلها سائرة على اثر

وكان هذا البرج مبنياً بالاجرة سبع

طبقات كل طبقة اضيق من التي تحتها وملونة

بلون يخالف لون غيرها فالطبقة العليا

لزل ابعاد السيارات في عرف القدماء

وكانت سوداء اللون لان اجراها كان مطلياً

بالقار . والتي تحتها للمشتري وكانت مدهونة

بدهان برتقالي اللون . والتي تحتها للمريخ مدهونة

بلون احمر دموي والتي تحتها للشمس وكانت

مبنية بطوب غير مشوي ومغشاة بصفايح الذهب

الوهاج وتحتها طبقة الزهرة مدهونة بلون

اصفر مفتوح وتحتها طبقة عطارد من اجرة

اطيل شبة حتى صار لونه ازرق وفي اعلى البرج

كرة كبيرة مصفحة بالفضة تمثل القمر وفيها

الدخيرة المقدسة التي لا يراها الا كاهن الهيكل

وقد بني هذا البرج او الهيكل العظيم

نبوخذنصر ملك بابل الذي نشأ بين سنة ٦٠٥

و ٥٦٢ قبل المسيح بناءً على اساس هيكل قديم

وقال في ما كتبه عنه « اني اتممت بهاء البرج

بالفضة والذهب والحجارة الكريمة والاجر

المدهون بالملينا وخشب الاز والشربين وهو

بيت الدراري السبع التي تنير الارض بناءً

ملك قبلي منذ اثنين واربعين جيلاً ولكنه لم

يتمه فبنيت كما كان في العهد الماضي فتقبل يأنو

(عطارد) عملي وائمني حياة دائمة وظفراً في

بلدان كثيرة ليعش نبوخذنصر امامك . » وقد

بقي اسم نبوخذنصر خالداً في صفحات التاريخ

ولكن برجه خرب وصار اكواماً من الانقاض

الفرس في عدوه

اتفق المصورون والنحاتون على رسم الفرس

وهو يعدوانه يمد يديه الى الامام ورجليه الى

الوراء حينما يرتفع كله عن الارض ويقلب

حافري رجليه حتى يتجه نعلاه الى الاعلى

ويتقوس ظهره الى الاسفل . وهذا الشكل من

التصوير او الثصور قديم جرى عليه اليونان

والرومان قبل المسيح بالف سنة الى ١٨٠٠

سنة وتابعهم فيه الفرس والصينيون واليابانيون

ولكن يظهر من تصوير الفرس بالقوتوغرافيا

السريعة وهو يعدوانه حينما يرتفع عن

الارض يتقوس ظهره الى اعلى لا الى اسفل

وان يديه تخنيان الى الوراء ورجليه الى الامام

على ضد ما يصوره المصورون . واول ما ميسر
الارض من قوائم رجل من رجليه وهي تمسها
تحت بطنه لا وراءه لكي تساعد على الوثوب
مبرونتها

اللبن والميكروبات

ثبت من البحث المدقق ان اللبن المحلوب
لا يخلو من الميكروبات ابداً فاللبن الذي
يجلب اولاً يكون في السنتيمتر المكعب منه من
١٨٠٠٠ ميكروب الى ٤٨٠٠٠ ميكروب واللبن
الذي يجلب بعده يكون في السنتيمتر المكعب
منه من ٨٦٠ ميكروباً الى ٤٨٠٠ ميكروب
كأن الميكروبات تكون في اخلاف (حلمات)
البقرة فيخرج اكثرها مع اللبن الذي يجلب
اولاً لكن هذه الميكروبات على كثرتها قد لا
يكون فيها شيء من الميكروبات المرضية اما
اللبن الذي يفرز من جسم البقرة فيكون خالياً
من الميكروبات حال افرازه . وبعد خروج
اللبن يقع فيه ميكروبات كثيرة من ظاهري
زرع البقرة ومن الغبار المتطاير في الهواء ومن
ايدي الخلاّات ثم من الآنية التي يجلب
فيها والآنية التي ينقل بها الى ان يصل الى
من يشربه . ويكون بعض هذه الميكروبات
مرضياً ولذلك لا يجوز مطلقاً شرب اللبن قبل
اغلائه ولو استلقيته من زرع البقرة

الحساب الغربي في روسيا

عزمت روسيا على ترك الحساب الشرقي

والجري على الحساب الغربي وستقدم لأئمة
بذلك الى الدوما في الخريف المقبل ولا يخفى
ان الحساب الشرقي هو الحساب القديم وفيه
خطأ يبلغ يوماً كاملاً كل نحو مئة وثلاثين
سنة وقد أصلح بالحساب الغربي
سنة ١٥٨٣

السليقة والاختبار

ربى بعضهم خمسة اجراء من قسط
جزيرة مان الانكليزية ولم يدعها ترى الفيران
مطلقاً ولما صار عمرها خمسة اشهر اتاها بفارة
فنظرت اليها ولم تؤذها وبعد شهر ونصف
جوعها واتاها بفارة اخرى فلم تؤذها ايضاً ثم
ادخل اليها امها فقبضت على الفارة حالاً واكبتها
وبعد قليل تعلمت تلك الاجراء الاقتداء بها
في قتل الفيران واكلها . ويظهر لنا ان غريزة
ذلك الصنف من القطط لقتل الفيران ضعيفة
اما القطة الفيران في جزيرة مان اولسبب آخر
وانه لو جربت هذه التجربة بقطط بلادنا
لوجدت غريزة قتل الفيران قوية فيها فتقتلها
وتأكلها ولولم نتعلم ذلك من اماتها

كشاف جديد للدم

شرح الاستاذ مكوفني في جمعية دبلن
الملكية خواص مركب كيمائي اسمه بنزيدين
benzidine فقال انه اذا اذيب في الحامض
الخليك واتصل بقليل من الدم مع قليل من

اكسيد الهيدروجين تكون حالاً لون ازرق شديد البهاء . وهذا الكاشف عن الدم دقيق جداً فيظهره ولو كان مقداره جزءاً من خمس مئة الف جزء اي اذا اذيت نقطة من الدم في خمس مئة الف نقطة من الماء او نحو ٣٠ افة من الماء فالبنزدين يظهر الدم فيها وهذا الكاشف يكشف الدم ولو كانت لقطه قديمة مرت عليها السنون الطوال . والاثمار الجديدة والخضر تفعل فعل الدم في اظهار اللون الازرق ولكن يفرق بينها وبينه بسهولة بانها اذا سلقت بماء غالي لا تعود تكون اللون الازرق واما الدم فلا يؤثر الغليان فيه

السرطان

ظهر تقرير اللجنة الملكية الانكليزية المقامة للبحث عن السرطان وليس فيه شيء حري بالذكر لان الباحثين قد غاصوا في هذا الموضوع وهم يبحثون الآن في خواص الدقائق التي يتركب منها الجسم الحي وكيفية وصول الداء اليها وفعله بها . وليس في هذا التقرير شيء يدعو الى الطمينة كما في التقرير الذي قبله لان ما ذكر في التقرير السابق قد نقض بل لانه لم يصف شيء اليه من حيث الشفاء

ومن الغريب ان السرطان يصيب افضل الناس فقلاً يصاب به احد من المجانين او السكرين او المومسات . وتصاب به النساء

المتزوجات اكثر من العازبات وذوات الاولاد اكثر من العواقر . والظاهر ان كثيرين يصابون به ثم يشفون من غير ان يشعروا بذلك . افلا يصح القول بان من يصاب بسرطان خفيف ولا يعالجه ولا ينتبه له ثم يشفى منه هذا الانسان لو انتبه له وعالجه بعملية جراحية لقواه وزاد خطره بتهيجه وعدوى الانسجة التي حوله به . يقول الاطباء ان استئصال السرطان عند اول ظهوره خير واسطة للنجاة منه ولكن من المؤكد ان بعض الذين يعالجون كذلك لا يشفون ومن المؤكد ايضاً ان البعض يشفون من غير علاج افلا يحتمل ان الذين يشفون بعد العملية هم من الذين يشفون من غير عملية بل ما ادرانا ان الذين لا يشفون بعد العملية اضرتهم العملية بدلاً من ان تفيدهم . هذه امور لا تحقق الا بعد التجارب الكثيرة في مئات من الناس

وراثة المعارف

كتب المستروايك كوك مقالة في مجلة المعاصر الانكليزية زعم فيها ان الانسان يرث معارف اسلافه ويكون عقله خزانة جامعة علوم الاوائل والاواخر ولكنها لا تظهر فيه لتغلب المادة على العقل فاذا تنبه العقل وسكنت المادة كما في الاستهواء ظهرت فيه المعارف المكنونة وذكر مثلاً لذلك شاباً قليل العلم

استهوي فانجبت له الحقائق العلمية وصار
يتكلم فيها كأنه ابن مجدتها ويذكر مصطلحاتها
كأنه مرن عليها كل حياته واذا سئل عن
مريض شخص داءه ووصف دواءه كأنه من
مهرة الاطباء واصابته نوبة هستيرية مرة دامت
ثلاثة عشر شهراً فاملى فيها خطباً يومية تملأ
كتاباً كبيراً في تاريخ الفلسفة والكون وكل
ما يتعلق بالمادة والعقل فوصف النظام الشمسي
ونسبته الى سائر أنظمة الكون واشتقاق
الارض من الشمس والادوار التي تعاقبت على
الارض قبل ظهور الانسان عليها وكيفية
ظهور الاحياء من حيوان ونبات وارتقائها في
سلم الخلق وقال انه ستكشف متحجرات احياء
ارقي مما كشف ولم يذكر شيئاً عن الحلقة بين
الانسان والعجاوات بل قال ان الانسان ظهر
بغتة كما يولد النابغة من والدين اميين ثم ذكر
تاريخ الانسان من اول ظهوره الى الان
وتاريخ ارتقاء العقل والعلوم والفنون واستطرد
الى وصف العالم الروحي وهذا الرجل طيب
الآن واسمه جاكسن دافس ويلقب بنبي بوكبسي
ويظهر لنا انه قرأ وهو فقي كتاباً مسهباً في
هذه المواضع ككتاب الكسموس فانطبعت
صورته في ذهنه ثم شعر بها حينما اصابته النوبة
الهستيرية فجعل يتلوها كأنه يقرأها في صحيفة
ذهنه لا انه ورث معارفه من اسلافه

الغلاء والشكوى

يشكو العمال في بلاد الانكليز من غلاء

المعيشة فيها وقلة العمل اكثر مما يشكو غيرهم.
وقد بحث مجلس التجارة الانكليزي عن
اسباب هذه الشكوى وقابل بين اجور العمال
في انكلترا وفرنسا والمانيا واجور السكن
ونفقات المعيشة فوجد انه اذا انتقل العامل
الانكليزي الى فرنسا وجد ان اجرة السكن
فيها مثل الاجرة في انكلترا تقريباً وثن الطعام
والوقود اقل مما في انكلترا ١٨ في المئة واجرة
العمل اقل مما في انكلترا ٢٥ في المئة وساعات
العمل اطول مما في انكلترا ١٧ في المئة
واذا انتقل الى المانيا وجد ان اجرة
السكن اقل مما في انكلترا ٢٣ في المئة وثن
الطعام والوقود اقل مما في انكلترا ١٨ في المئة
واجرة العمال اقل مما هي في انكلترا ١٧ في
المئة وساعات العمل اطول مما هي في انكلترا
١١ في المئة فالعامل الفرنسي ومن
الاماني ومع ذلك هو اكثر منهما شكوى
لانه اوفر علماً واكثر مطامع
واتعب خلق الله من زاد همهم
وقصر عما تشتهي النفس وجده

ذيول النساء

لا شبهة في ان طول الذيل كان دائماً
من ادلة العظمة لكن الاقدمين لم يبالغوا فيه كما
بالغ المتأخرون ولا حصروه في النساء دون
الرجال فقد قيل انه لما دخلت الاميرة اليسان

قطع الخليج الانكليزي في الهواء

استتب لرجل فرنسوي اسمه بلريوان يقطع من فرنسا الى انكلترا طائراً بطيارة وهي اول مرة استتب فيها ذلك وقد قطع مسافة ٣٧ ميلاً في ٣٥ دقيقة وكان لهذا الامر شأن كبير في فرنسا وانكلترا ولكنه لا يحل مسألة الطيران بمعنى ان يتمكن الناس من السفر بالمركبات الهوائية كما يتمكنون الآن من السفر بالمركبات البخارية

حراج اميركا

قالت جريدة العلم الاميركية ان اهالي اميركا يقطعون كل سنة ٢٣ الف مليون قدم مكعبة من الخشب وما ينمو في كل حراج بلادهم في السنة لا يزيد على سبعة آلاف مليون قدم مكعبة فهم يقطعون من الحراج اكثر من ثلاثة اضعاف ما ينمو فيها

ميكروب الجدري

اعان الدكتور اوزولدو كروز مدير مصلحة الصحة في بلاد البرازيل ان ميكروب الجدري كشف في معملة كشفه الدكتور هنريك بيوربير والدكتور بروازك ولقد عجز العلماء عن اكتشاف هذا الميكروب قبل الآن مع قيام الادلة الكثيرة على ان مرض الجدري من جملة الامراض الميكروبية فلهذا الاكتشاف شأن كبير عندهم

النسوية الى باريس لتكون زوجة للملك كارلس التاسع كان طول ذيلها ستين قدماً وان الملكة ماري ملكة اسكتلندا كان طول ذيلها ٣٦ قدماً ولا يزال النساء الاوربيات يطلن ذبول اثوابهن التي يقابلن بها الملوك فلما توج ملك الانكليز الحالي امر ان يحدد طول الذيل فجعل ذيل لباس امرأة اللورد يردن فقط ثم يزداد نصف يرد لكل درجة فوق درجة اللورد حتى تصل الى زوجة الدوق فيكون طول ذيلها اربعة يردات اي ١٢ قدماً

غنى الاسكا

اشترت الولايات المتحدة الاميركية بلاد الاسكا من روسيا بسبعة ملايين ومئتي الف ريال وهي بلاد واسعة جداً تبلغ مساحتها ٥٨٦ الف ميل مربع وقد استخراج منها من الذهب سنة ١٩٠٧ ما يساوي ١٩ مليوناً من الريالات وبلغت قيمة صادراتها حينئذ ٣٣ مليون ريال وقيمة وارداتها ١٩ مليون ريال وبلغت قيمة سمك الصامون الذي صيد منها تلك السنة ١٦ مليون ريال وفيها ثلاثون الف ميل مربع من الارض الصالحة للزراعة ولرعاية المواشي اي نحو عشرين الف فدان وليس فيها الا ان نحو اربعين الف نفس من البيض ولكنهم آخذون في الازدياد بسرعة وهم يزدون بالمهاجرة خمسة عشر الفاً او اكثر كل سنة

الاسطول الانكليزي

عرض قسمان من الاسطول الانكليزي في شهر يونيو الماضي امام محرري الصحف الذين حضروا من المستعمرات الانكليزية وكان فيها ١٤٤ سفينة مجموعها معاً ٧٧١٢٠٠ طن وفيها ٦٣٣ مدفعاً ومن هذه المدافع ١٤٤ مدفعاً قطر فوهة كل منها ١٢ بوصة اي انها من اكبر مدافع البوارج وثمان هذه السفن ستون مليوناً من الجنيهات

تعقيم اللبن عن بعد

استنبط احد الفرنسيين اسلوباً لتعقيم اللبن ونحوه من المواد بالاشعة البنفسجية من النور الكهربائي

تلفون من غير سلك

شاع استعمال التلفون الذي لا سلك له ولكن يصعب الكلام به اذا كانت المسافة طويلة عشرين ميلاً او اكثر. ويقال الآن ان ملازمين فرنسيين استنبطوا تلفوناً من غير سلك يسهل التكلم به ولو كانت المسافة مئة ميل

الدستور في ايران

ثار حزب الدستور في ايران على الشاه محمد علي ونشبت الحرب بينهم وبين جنوده وعقد الفوز لهم اخيراً فدخلوا طهران وفرّ هو من وجههم ولجأ الى السفارة الروسية فخلعوه

شكلن والقطب الجنوبي

يظهر من حديث لمكاتب جريدة التلغراف مع الرحالة شكلن انه لو لم يمت اربعة من افراسه باكلها الرمل لتمكن بها من الوصول الى القطب الجنوبي تماماً وانه كان معه غرموفون وكان هو ورفاقه يتسلون به ومن الغريب ان طيور البنغوين كانت تجتمع حوله تستمع صوته وقد عرّتها الدهشة

هبات كارنجي للمكاتب

بلغت هبات كارنجي للمكاتب العمومية اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات فانه وهب ٩٥٩ مكتبة في الولايات المتحدة ٣٤٨٧٠٧٤٥ ريالاً

- و ٨٦ مكتبة في كندا ٢٠٥٩٤١٥
- و ٣٢٩ في انكلترا ٧٨٥٩٥٥٠
- و ١٠٥ في سكتلندا ٢٥٧٥٠٨٠
- و ٤٢ في ايرلندا ٧٢٤٦١٠
- و ١٤ في زيلندا الجديدة ١٤٦٢٥٠
- و ٥ في الهند الغربية ١١٩٠٠٠
- و ٢ في استراليا وتسمانيا ٤٧٥٠٠
- و ٣ في جنوبي افريقية ٢٣٥٠٠
- و ١ في جزائر سيكلس ١٠٠٠٠
- و ١ في جزائر فيجي ٧٥٠٠
- و لمكاتب المدارس الكلية ٣٦٥٣٧٥٣
- والجملة ٥١٥٩٦٩٠٣

ونصبوا ابنه ولياً عهده بدلاً منه وهو فتى
في الحادية عشرة من عمره وستفصل ذلك
في فرصة أخرى

هبة ركفلر

ذكرنا غير مرة ان المسترجون ركفلر
الغني الاميركي وهب اموالاً طائلة ينفق ريعها
في مساعدة المدارس الاميركية واناظ ذلك
باناس عهد اليهم بانفاق هذا الريع وبالامس
بلغ السبعين من عمره فزاد هذه الاموال مليوني
جنيه دفعة واحدة تذكراً لذلك فصارت
عشرة ملايين وستمئة الف جنيه وصار جملة ما
وهبه للشروعات العلمية ٢٤ مليوناً من الجنيهات

اصل النيازك

النيازك او الحجارة النيزكية او الرجم على
نوعين الواحد اكثره حديد والاخر اكثره
سواد حجرية

وقد كتب الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي
مقالة بحث فيها عن اصل هذه النيازك ورجح
ان اكثرها ارضي وقد انفصلت عن الارض
لما انفصل القمر عنها لان القوة الدافعة التي
دفعت جرم القمر مزقت جانباً كبيراً من قشرة
الارض فدار حولها او حول الشمس قطعاً
كبيرة ولكنها اصغر من القمر كثيراً ثم تصادمت
ونزقت ولا يزال كثير منها يدور حول
الارض فتدنو الارض منه من وقت الى آخر
وتقوى عليه فيقع عليها

سل القروود

لا يخفى انه يموت كثير من القروود بالسل
في حداثق الحيوانات وقد اعتمدت جمعية علم
الحيوان في فيلادلفيا باميركا على امتحان القروود
بالثبركولين قبل وضعها في حديقة الحيوانات
مع غيرها من القروود فقلّ ظهور هذا الداء من
حين اعتمدت على هذه الوسطة

الحرية في يوليو

كان شهر يوليو الماضي شهر تذكاري مجيد
عند ثلاث من الامم الكبيرة فالامة الاميركية
عيدت في الرابع منه لتذكاري حريتها والامة
الفرنسوية عيدت في الرابع عشر منه لكسر
نير الاستبداد فيها وقيام الحكم الدستوري والامة
العثمانية عيدت في الثالث والعشرين عيد نخها
الدستور بل نيلها الدستور اغتصاباً لا سواً الا
وقد ابتهجت هذه الامم كلها باعيادها وكانت
الامة العثمانية اشدها ابتهاجاً لقرب عيدها
بالحكم المطلق الذي ازهق نفوسها وقد احتفلت
به في كل مكان ولاسيما في الاستانة العلية وفي
القاهرة والاسكندرية عاصمتي الديار المصرية

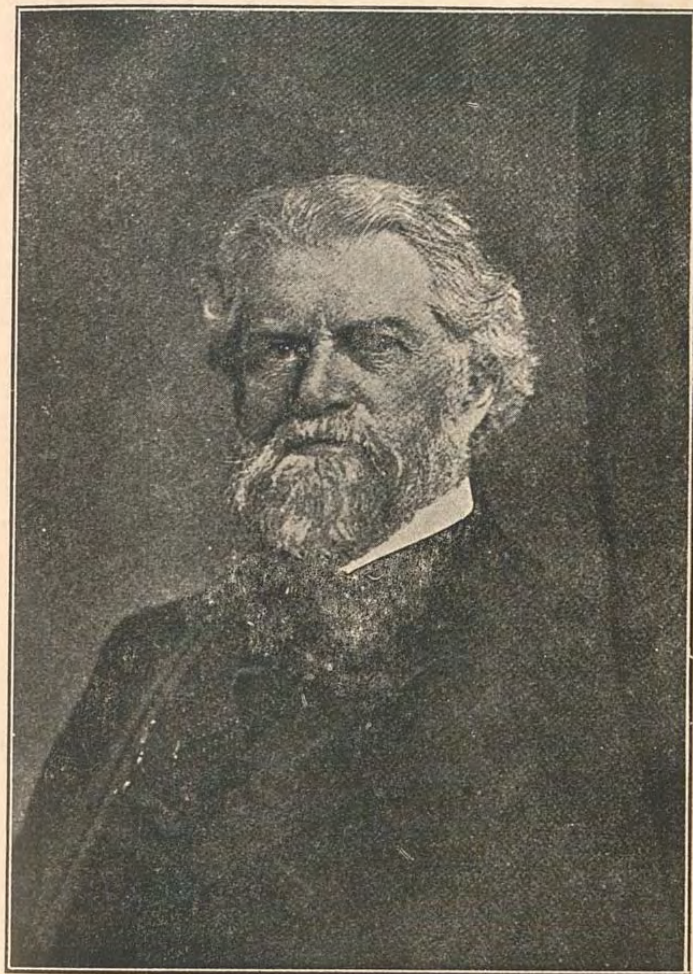
زلزلة اليونان

أصيبت ولاية اليس من بلاد اليونان
بزلزلة عنيفة دمرت كثيراً من بيوتها وقلت
كثيرين من اهاليها

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين

٢٢١	تشارلس دارون
٢٢٧	السرفرنسيس غلن (مصورة)
٨٢٩	نشوء الانسان والحيوان . لانيس افندي الياس الخوري
٢٣٧	الحياة والموت . لسلامه افندي موسى
٧٤٠	الذئاب ولا الناس
٧٤٣	ثروة الانكليز
٧٤٧	مالية الدولة العثمانية
٧٥٤	مقاومة الجسم للأمراض المعدية
٧٦٠	اصل الانتخاب الطبيعي
٧٦٤	معركة بولتاوى . لا دوار افندي مرقص
٧٦٧	مدافن مريشة (مصورة)
٧٧٠	الحضارة الاثينية القديمة . لعبد الرحمن افندي زهدي
٧٧٨	العناية بالاطفال . للدكتور امين دمر

٧٨٥	باب المراسلة والمناظرة * الترك والعرب . اللغة العثمانية . منشور يصلح النفوس . لا يعلم الغيب الا الله . صور الاشياء
٧٩٢	باب تدبير المنزل * نقص في مدارس البنات . الجبين في شهور الحمل . وصاهاحية . وقاية العين
٧٩٨	باب الزراعة * معمول القطن وسعره . النقابات الزراعية . الحشرات المضرة بالزراعة . تسمين المواشي
٨١٠	باب الصناعة * الصناعة المصرية منذ مئة عام
٨٨	باب المسائل * فوائد العفة . اصل الرجم . كيف وجدت المادة . غاية الارتقاء . اميال الانسان . حرية الانسان . بعض الترجمات . المعجزات والعلم عمر الارض والكواكب وابعادها . قدم الماس . سيجون وحيون والفرات . الاثروبوزم . المادية ووجود الله . العلم والشر . المحل المغنطيسي . الرموز الكيماوية . الطوفان . الاغتسال بالماء البارد . الحواة والتعابين
٨١٥	باب الاخبار العلمية * وفيه ٣٠ نبذة



الاستاذ نيوم